في رحاب الإمام الرضا عليه السلام

الشيخ فوزي آل سيف

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

بين يدي القارئ والقارئة

قبل أحد عشر عاما صدر كتاب (رجال حول أهل البيت)، وبعده بثمانية أعوام صدر كتاب (نساء حول أهل البيت)، وعندما أريد إعادة طباعة الكتابين رأى بعض الإخوة تجزئة هذين الكتابين بحيث يصدر كتيب حول كل معصوم، وأصحابه (رجالا ونساء)، فكان هذا الذي بين يديك، وهو يحقق عدة أمور، منها سهولة تداول كل قسم من أقسامه، بخلاف ما إذا كان أربعة مجلدات كبيرة، ومنها أن الفئة المخاطبة به هي الفئة الشابة وهم يقبلون على الكتاب الصغير حجما، أكثر من إقبالهم على كبير الحجم، ومنها أنه من خلال هذا الجمع سيتم الإحاطة بحياة المعصوم من جهات متعددة.. لكل هذه الأمور، تم تنسيق الكتابين بهذا النحو.

وها هي بين يديك إضمامة عطر من بستان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبنائه الطاهرين عليهم السلام تحتوي على حياة خمسة من الرجال الرساليين، وخمس من المؤمنات القانتات.

موجز عن حياة الإمام علي بن موسى

أبو الحسن الرضا عليه السلام

١٥٣-٢٠٣

ولد سنة ١٥٣ هـ وتوفي سنة ٢٠٣ هـ. وعمره خمسون عاماً، كان فيها مع أبيه مدة ثلاثين سنة.

خلال هذه السنوات الثلاثين كان الإمام الكاظم يشير إليه بالإمامة ويدل الناس عليه، فقد كان يجلس الإمام وعمره نيف وعشرون سنة في مسجد رسول الله يفتي الناس، والإمام الكاظم يقول لنعيم بن قابوس: «علي ابني أكبر ولدي وأسمعهم لقولي وأطوعهم لأمري ينظر معي في كتاب الجفر والجامعة وليس ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي».

ويقول داود بن رزين: حملت إلى أبي إبراهيم مالا فأخذ مني بعضه، ورد علي الباقي، فقل له جعلت فداك لم رددت علي

هذا، فقال أمسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدي، فلما مضى موسى، بعث إلي الرضا أن هات المال الذي قبلك ..

وهكذا تكررت الأساليب، فحتى وهو عليه السلام في السجن أخرج ألواحا فيها: عهدي إلى اكبر ولدي .

بعد أبيه بقي أربع سنوات أي إلى سنة ١٨٧ لم يعلن الإمام إمامته، وذلك لأن هارون كان في أوج تحفزه بعد اغتيال الإمام الكاظم ..

بعد هذه الفترة: أي في سنة ١٨٩ كان هارون في طريق الانتقال إلى الري ومنها إلى خراسان حيث توفي فيها سنة ١٩٣، بينما بقي الإمام في المدينة وكان ينشر علم آبائه، ويواجه الحركة الواقفية المنحرفة .

وذلك أنه استغل بعض الوكلاء المنحرفين ظروف التقية التي كانت سائدة على أثر قمع الحكم العباسي، فادعوا أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت، وأنه لا يزال حياً، لكيلا يسلموا الأمر للإمام الرضا عليه السلام فأنشأوا بذلك مذهب الواقفة..

لكنهم ما لبثوا أن اندثروا بعدما رأى الناس شخصية الإمام الرضا عليه السلام، وفضله وعلمه.

تعتبر السنوات من سنة (١٨٩ ـ ٢٠١) وهي سنة ولاية العهد، من الفترات الذهبية التي استفاد منها الإمام عليه السلام في نشر العلم حيث بدأ النهضة الثقافية الثالثة في عمر التشيع والإسلام . فقد أخذ عنه العلم ما يزيد عن ٣١٣ من الرواة والعلماء والفقهاء . وصل بعضهم إلى مراتب عالية من المعرفة فهذا يونس بن عبد الرحمن الذي كان كسلمان في زمانه . وكان له أكثر من عشرين كتابا في مختلف المجالات، وذاك صفوان بن يحيى الذي كان أوثق أهل زمانه في الحديث، حتى لقد ذكر بعض المؤلفين أنه جمع من مسائل أبي الحسن الرضا (أكثر من خمسة عشر ألف مسألة) . هذا عدا عن حواراته واحتجاجاته، مع أرباب الملل والنحل . فراجع للتفصيل عيون أخبار الرضا.

مع مجيء المأمون إلى الحكم، بعدما حارب أخاه الأمين وانتصر عليه وقتله، أصر على الإمام الرضا أن يكون ولي عهده، تحت طائلة القتل إن لم يقبل، وكان يهدف في ذلك إلى:

١ - نزع سلاح المعارضة من يد الإمام الرضا ومن يد العلويين باعتبار أن سيدهم هو ولي العهد.

٢ـ وأن يكون الإمام الرضا دائما إلى جانبه تحت المراقبة.

٣- إسقاط الصورة المثالية الموجودة لدى الناس عن أهل البيت، وإقناع الناس أن أهل البيت إنما يزهدون في الدنيا- مثلا- لأنهم لم يحصلوا عليها، أما إذا حصلوا عليها فإنهم يقبضون عليها، وأيضا إشعار الناس أن الأوضاع بقيت فاسدة مع أن الإمام الرضا وهو كبير البيت العلوي في سدة الحكم.

٤ - الاستقواء بالإمام الرضا داخلياً، ذلك أن المأمون كان يعيش في دائرة ضعف في بداية الأمر، ذلك أنه كان ابن أمة فارسية، وكان صغير السن، وقد قتل أخاه لتوه.. فكان يحتاج إلى ظهر يستند إليه، ولم يكن هناك خير من الإمام الرضا عليه السلام ... فأصر عليه أن يكون ولياً للعهد وإلا فإنه سيقتل.

قبل الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد مضطراً، ولكنه اشترط لذلك، أن لا يعين وأن لا يعزل وأن لا يشارك. وكل

ذلك من أجل أن ينزع الصفة الشرعية عن أعمال الحكم العباسي، وسعى للاستفادة من ذلك الموقع في خدمة حركة الإمامة، فقد صار ديوان المأمون مجلساً لظهور فضل أبي الحسن الرضا وغلبته على أرباب الأديان والمذاهب، فكان يؤثر عنه العلم وينقل من دون تحرج أو-خوف، كما أنه ما فتئ يظهر فضائل أهل البيت وتقدمهم على من سواهم من الخلق في تلك المجالس والمناظرات،

وأقبل الشعراء يثنون على أهل البيت ويذكرونهم في أشعارهم، كما صنع دعبل الخزاعي وغيره في قصائدهم .. وبالرغم من أن المأمون كان يسعى جاهدا لإدخاله في التعيين والعزل إلاّ أن الإمام كان يرفض ذلك لأنه يعلم أن المقصود هو إسباغ الشرعية على عمل الحكم بل قام بأعمال توحي بأن الحكم لا يسير على طريقة الرسول ﷺ، كما حدث في أول يوم من البيعة، وكما حدث في صلاة العيد.

انتقل إلى جوار ربه سنة ٢٠٣، ودفن في خراسان.

مسموما على المشهور بواسطة المأمون .. وإن تشكيك البعض ـ حتى من قبل بعض علماء الشيعة ـ في ذلك يعني أن المأمون قد قام بدوره بصورة متقنة حتى يبعد الشبهة عنه .

رجال حول الإمام الرضا عليه السلام

يونس بن عبد الرحمان

١٢٥ هـ ـ ت ٢٨٥ في المدينة المنورة

«عرضت على أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام (الحسن العسكري) كتاب ـ يوم وليلة ليونس فقال لي: تصنيف من هذا؟ فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين. فقال: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة..»

تجمع شيعة بغداد على جسرها منتظرين خروج الإمام الكاظم عليه السلام من سجن هارون الرشيد!. كانوا يعدون أنفسهم بحفل استقبال بهيج، إذ تنتهي بخروج الإمام من السجن أيام هذه المحنة التي امتدت سنوات كما تنتهي مشكلة هؤلاء الناس الذين حرموا من لقاء قائدهم، والانتهال من معين علمه..

إلاّ أن الذي حدث هو أن ذلك الحفل المنتظر تحول إلى

مأتم عزاء مأساوي عندما جاءت (جنازة) الإمام محمولة ذلـك أن الحكم العباسي وفي عـصره الـذهبي! حيـث بلغـت الدولـة أقصى اتساعها كان أضـعف مـن أن يـسمع كلمـة حـق يقولهـا الإمام، وكانت أرض حكمه ـ على سعتها ـ أضيق من أن تتسع لوجود حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

مرّت سحابة الحدث قاتمة سوداء على مجاميع شيعة أهـل البيت،وكان رد فعل كل جماعة منسجماً مـع القاعـدة الفكريـة التي يعتمدونها. وبالرغم من فداحة الخطب إلا أن ما تبعه مـن آثار فكرية وعقيدية جعل من الضرورة بمكان التوجـه لعـلاج تلك الآثار.. إن أول مهمة تواجه أتباع أهل البيت هـي ضـمان اسـتمرار خـط الإمامـة في الأمـة، وإحبـاط مخطـط الحـاكمين الساعين إلى فصله عن الأمة. وإذا كان خطر الخارج صعباً فـإن تهديد الداخل أخطر وأصعب..

إن باب يونس بـن عبـد الرحمـان يطـرق.. والأيـام حـبلى بالمفاجـآت.. تـرى مـن يكـون الطـارق في هـذا الوقـت مـن الليل؟!.

❀❀❀

انتفض كمن لدغته عقرب.. هل يمكن له، بعد هذا العمر الطويل أن يخون خط أئمته مقابل عشرة آلاف دينار؟! لقد كان يستطيع لو أراد أن ـ يسلك هذا الدرب، أن يحصل على مئات الألوف، فترك كل ذلك ضنا بدينه وسلامة طريقه، ثم يأتي اليوم لكي يبيع بهذا الثمن البخس؟!.

ثم ما الذي جرى لهؤلاء؟! أترى مسّ جنون أصابهم، أم طائف شيطان ألم بواديهم؟! إنه يعرفهم جيداً، ومن ذا الذي يجهلهم:

علي ابن أبي حمزة، الذي كان وكيل الإمام موسى بن جعفر، وكانت تأتيه الأموال ليوصلها إلى الإمام، وزياد القندي، وابن المكاري..

وها هو يونس يكمل الحادثة... مات أبو الحسن (الكاظم) وليس أحد من قُوّامه إلا وعنده المال الكثير، وكانت سبب وقفهم وجحودهم وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي ابن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار..

فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إلي وقالا: ما يدعوك إلى هذا؟! إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي: كفّ! فأبيت وقلت لهم: إنا روينا عن الصادقين أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان وما كنت لأدع الجهاد في أمر على حال.. فناصباني وأظهرا لي العداوة[1].

لقد كان يونس يشهد تكون مذهب منحرف على أرض المصلحة الشخصية ـ عرف فيما بعد باسم الواقفة، ويقضي بالتأكيد على أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم لم يمت وأنه لا يزال حيّاً، وبالتالي، فإنهم غير ملزمين بتسليم ما لديهم من الأموال والحقوق الشرعية إلى الإمام التالي وهو علي بن موسى الرضا عليه السلام، لأن والده في زعمهم لم يُتوفَّ وأنه حي.. فهم يقفون عليه، ولقد كان واضحاً أن جذر هذا المذهب يشرب من ساقية الهوى والمصلحة..

(١) تنقيح المقال ٣/ ٣٣٩.

لقد رأى يونس أن مثل هذه المذاهب والآراء الكاسدة إن وجدت لها سوقاً، فهي لن تجد مثل الجهلة الرعاع، لذلك وجد أن نشر الوعي والثقافة الدينية، بين عموم الناس سوف يلغي وجود هذه المذاهب، أو يعيق حركتها بين الناس ولقد بقيت الكتب التي قام بتصنيفها إلى فترة طويلة بعده مورداً للاستفادة. كما تحول إلى محور لجماعات الشيعة بل زعمائهم، في تثقيفهم وتعريفهم بأمور دينهم، فقد قال الفضل بن شاذان: حدثني عبد العزيز المهتدي وكان خير قُمِّي رأيته وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته فقال: إني سألته، إني لا أقدر على لقائك في كل وقت، فعمن آخذ معالم ديني؟! فقال: خذ عن يونس ابن عبد الرحمن

وإذا كان سلمان المحمدي قد استوعب علم أمير المؤمنين عليه السلام حتى أصبح عالما بالأول والآخر، فإن «يونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه» كما يقول الرضا عليه السلام وبعد أن استوعب يونس من علم الأئمة الكثير، بدأ ينشره، إذ زكاة العلم نشره.. فمن كتبه:

١. كتاب الأدب والدلالة على الخير.
٢. كتاب الإمامة.
٣. كتاب فضل القران.
٤. كتاب اللؤلؤ في الزهد.
٥. كتاب يوم وليلة...
٦. كتاب الرد على الغلاة.
٧. كتاب الشرائع.
٨. كتاب جوامع الآثار.
٩. كتاب السهو.
١٠. كتاب الزكاة.
١١. كتاب الصلاة.
١٢. كتاب العلل الكبير.
١٣. كتاب اختلاف الحج.
١٤. كتاب المثالب.

١٥. كتاب علل النكاح.

١٦. كتاب البيوع والمزارعات.

١٧. كتاب الطلاق.

١٨. كتاب الفرائض الصغير.

١٩. كتاب الحدود.

٢٠. كتاب البداء.

٢١. كتاب تفسير القران.

٢٢. كتاب الجامع الكبير في الفقه.

وحازت هذه الكتب على تأييد الأئمة عليهم السلام لمحتوياتها، فقد دخل الإمام الجواد عليه السلام على أحد شيعته يعوده في مرضه، وكان عند رأسه كتاب (يوم وليلة) الذي صنفه يونس، فجعل يتصفحه ورقة ورقة حتى أتى عليه من أوله إلى آخره وهو يقول: رحم الله يونس رحم الله يونس. كما عرض أبو هاشم الجعفري نفس الكتاب على الإمام الهادي عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله..

ولأنه لا يخلو جليل من حسد الصغار الذي يبررون، ـ بحسدهم وحديثهم السيئ عن أولئك الكبار والأجلة ـ صَغارهم وتأخرهم. ولأن يونس من جهة أخرى كان قد أعلن حرب الوعي ضد المذاهب المنحرفة، وفي طليعتها الواقفة والغلاة، لذلك أعلنوا عليه حرب الإشاعة والتهمة في كل مكان.

وإذا كان ديدن الأجلة أن يعانوا من صغار النفوس، فقد عانى يونس من هؤلاء كثيرا.

ها هو يونس يدخل على الإمام الرضا عليه السلام، إذ كان من أركان تحركه وخلص أصحابه ولندع جعفر بن عيسى أحد شهود الحدث لينقل لنا ما حدث بين يونس والإمام الرضا عليه السلام قال:

كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمان إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة، فأومأ أبو الحسن إلى يونس: ادخل البيت، فإذا بيت مسبل عليه ستر، و إياك أن تَحرَّك حتى يؤذن لك.

فدخل البصريون وأكثروا من الوثيقة والقول في يونس، وأبو الحسن عليه السلام مطرق حتى أكثروا، وقاموا فودعوا وخرجوا وأذن ليونس بالخروج، نخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك ـ إني أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي؟!.

فقال له أبو الحسن: يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضيا؟! يا يونس حدِّث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون. يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة، أو بعرة ثم قال الناس درة!! هل ينفعك ذلك شيئا؟.

فقال يونس: لا.

فقال: هكذا أنت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس.

وكان ذلك أكبر كتاب قرأه يونس.

صفوان بن يحيى البجلي

توفي سنة (٢١٥) هـ

نمط فريد من الرجال صاغه منهج أهل البيت حسب القياسات المثالية نسمع عنه ونقرأ عن صفاته فنجده غريباً كل الغرابة عن الواقع الذي نعيش فيه، ولعل هذا هو سر تميزه، فإذا كنا نخضع للواقع الذي نعيشه، وكأنه قدر مفروض، ونرى القياسات التي يفرضها هذا الواقع على أنها النماذج الممكنة، يأتي نموذج صفوان متمرداً على مقاييس الواقع، ومتعالياً عليها، لكي يبين لمن يعيش في زمنه ولمن يأتي بعده أن ضغوط الواقع وحالاته ليست حتميات أقدار ولا «مكتوبة على الجبين» لمن أراد أن يتكامل.

❀❀❀

ففي دنيا العبادة اليوم يعتبر من يؤدي الواجبات في أوقاتها، صلاته وصومه وزكاته وخمسه، يعتبر من الصالحين،

وأي صلاح أعظم من ذلك!! أما من يلتزم إضافة إلى الفرائض والواجبات بالنوافل والمستحبات، بالرغم من قلة عدد هؤلاء، فهو يعتبر من الأبرار الذين قهروا أنفسهم، واستجابوا لنداء طاعة ربهم، ذلك أن من يتقرب إلى الله بالنوافل يستمد من قدرة الله اقتداراً، ومن نوره استضاءة فإذا هو وليه الذي يسأله فيعطيه ويدعوه فيجيبه.

نموذجنا صفوان بن يحيى البجلي، كان شريكاً في التجارة مع عبد الله بن جندب وعلي بن النعمان، وكانت تجارتهم في بيع الأقمشة (السابري) أي لم يكونوا عالة كالمتصوفة ولا فارغين كأصحاب الصوامع، بل كانوا رجال (دنيا) حسب الاصطلاح..

هؤلاء الرجال وكانوا وكلاء للإمام الرضا عليه السلام، وللوكلاء مسؤوليات كثيرة[1] ولكنهم كانوا نماذج في العبادة أيضا.

(١) للتفصيل يراجع كتاب نظام الإدارة الدينية للمؤلف.

فقد تعاقدوا في بيت الله الحرام على الأخوة، وأن أحدهم إذا مات يؤدي من بقي بعده صلاته ويصوم عنه ويحج عنه ويزكي عنه مادام حيّاً فمات عبد الله بن جندب ثم ابن النعمان، وبقي صفوان بعدهما، فكان يفي لهما بذلك فيصلي في اليوم مائة وثلاث وخمسين ركعة (فرائض الثلاثة ونوافلها) ويصوم ثلاثة أشهر في السنة ويحج عنهما، بل أنه كان يعطي في الصدقة المستحبة ثلاثة أمثال ما لو كان وحده!! هذا وهو تاجر، ووكيل يتحمل مسؤوليات الإدارة للأتباع والمنتمين.

ألم أقل لك ـ عزيزي القارئ ـ أنه نمط فريد؟!.

وحين يقتتل الناس على الرئاسة، فتسفك الدماء، وتسود صفحات التاريخ بالجرائم، لأجل أن يحكم فلان، فيغطي عقدة النقص الموجودة في شخصيته بالاستكبار والتجبر وظلم الضعفاء.. وترى أحداث التاريخ تلخصها المؤامرة، والدسيسة والاغتيال، ويقول ذلك الحاكم لابنه عندما يسأله ببراءة ـ سيفقدها حين يحكم ـ أنه إذا كان يعتقد أن الحكم لغيره فلماذا

لا يعيده إليه، يقول له: الملك عقيم ولو نازعتني لأخذت الذي فيه عيناك.

وحين يبيع البعض دينهم لأجل لحظة رئاسة وزهو، ولو كانت رئاسة قرية.. يصبح غريبا ذلك النموذج الذي ليس فقط لا يصبح رئيساً، بل لا يحب الرئاسة.. وهذا النموذج هو صفوان.

فقد استعرض قوم عند الإمام الرضا عليه السلام سعي بعض الأصحاب انطلاقا من حب الظهور الساكن في أعماقهم، إلى الترؤس بما يحملون من معلومات، فقال الإمام عليه السلام:

ـ ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حب الرئاسة..

ثم أكمل: لكن صفوان لا يحب الرئاسة[1].

❀❀❀

وفي العلاقات الاجتماعية حين يعرف البعض كل شيء

(١) تنقيح المقال ٢/ ١٠٠.

باستثناء حق الآخرين، بل ويرون لأنفسهم حقوقاً تفوق غيرهم، ويفكرون وهم يتعاملون أنهم الأحق والأولى، فإذا كانوا مشترين يرون أنهم أحق بأخذ الرخيص، فإذا أصبحوا بائعين لنفس السلعة، صار من الضروري بيعها بغالي الثمن.. وهكذا يفكرون دائما لماذا لا يطبق الناس القوانين ـ وبالطبع لا يدخلون أنفسهم في هذا السؤال ـ أنهم يريدون من الناس تطبيق القانون لكي تتسهل أمورهم ولا يفكرون في أن يقوموا بما يطلبونه من الناس!!.

في جو علاقات كهذه يغدو الحديث عما يفعله صفوان نوعاً من الخرافة التي لا تصدق!!.

فقد استأجر جمالا إلى الكوفة، فجاء أحد إخوانه طالباً منه أن يحمل دينارين إلى أهله، فقال له: إن جمالي مكرية وأنا أستأذن الأجراء..

كان من جهة لا يريد أن يضيع ثواب قضاء حاجة أخيه المؤمن ومن جهة لا يسمح له ورعه أن يضيف شيئاً لم يكن

منظوراً عند استئجار تلك الجمال فلا بد من استئذان أصحاب الجمال.

إننا أمام نموذج متميز من عبادته وفي وكالته وسياسته وفي علاقاته الاجتماعية.. نموذج يعرف الدين سعياً وكداً، والعبادة قربة وزلفى، والوعي مسؤولية.. فقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام ثم عن ابنه الجواد ـ وكان وكيلاً له ـ الكثير من الأحاديث، أخرجها في مصنفات عدت بثلاثين منها:

١. كتاب الشراء والبيع.
٢. كتاب المحبة والوظائف.
٣. كتاب الفرائض.
٤. كتاب الوصايا.
٥. كتاب الآداب.
٦. كتاب بشارات المؤمن.

وهكذا كان في الحديث «من الستة الذين اجتمع أصحابنا

على تصحيح ما يصح عنهم من أصحاب أبي إبراهيم (الكاظم) وأبي الحسن الرضا وأقروا لهم بالفقه والعلم». وهو في العبادة «كان من الورع والعبادة ما لم يكن عليه من طبقته أحد».

وهو في نشاطه التبليغي والتربوي ينشط هنا وهناك داعياً إلى منهج أهل البيت، سواء أولئك الذين كانوا في هذا الخط، أو أولئك البعيدين عنه، فقد استطاع أن يؤثر على محمد بن خالد، وكان قبلئذٍ في خط معاد لخط الأئمة، بل كان يمارس نشاطاً إعلامياً مضاداً..

فقد روى صفوان، قال: استأذنت لمحمد بن خالد على الرضا أبي الحسن عليه السلام وأخبرته أنه ليس يقول هذا القول (ليس في خط الإمامة) وأنه قال: والله لا أريد لقاءه إلاّ لأنتهي إلى قوله. فقال: أدخله فدخل. فقال: جعلت فداك أنه كان فرط مني شيء وأسرفت على نفسي وأنا أستغفر الله مما كان مني فأحب أن تقبل عذري وتغفر لي ما كان مني.

فقال: نعم. أقبل (عذرك) إن لم أقبل كان إبطال ما يقول هذا وأشار إلي (صفوان) ومصداق ما يقول الآخرون (يعني المخالفين)، قال الله لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]. وهكذا: وكما كان وكيلا للإمام الرضا عليه السلام، فقد توكل للإمام الجواد وكان من خاصة أصحابه ووكلائه، إلى أن قرب منه أجله فبعث إليه الإمام الجواد خيوطه وكفنه، وذهب إلى ربه راضيا مرضيا. حيث سيؤبنه ـ مع محمد بن سنان ـ الإمام قائلا:

«رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني وما خالفا أبي عليه السلام قط».

---

(١) بحار الأنوار ٤٩/ ٢٧٥.

الحسين بن سعيد الأهوازي

بين أيدينا وثيقة على جانب عظيم من الأهمية، لجهة محتواها وقائلها، ونتيجتها.. فهي من حيث المحتوى رؤية دقيقة ومن الداخل لوضع الأسرة العباسية التي حكم بلاد المسلمين مدة ثلاثة ترون من الزمان الأعجف، وقائلها هو المأمون العباسي، الذي كان (أهون الشرين) ليس أكثر.. ونتيجتها أنها تعطينا فكرة عن كيفية الخراب الذي أصاب الأمة بعد فساد (رأسها).

«.. وليس منكم إلا لاعب بنفسه مأفون في عقله وتدبيره: أما مغن أو ضاب دف، أو زامر، والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً وصناعة وأخلاقاً.

ليس منكم إلاّ من إذا مسّه الشر جزع وإذا مسّه الخير منع ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية وكيف يأنف من يبيت مركوباً ويصبح بإثمه معجباً كأنه قد اكتسب حمداً، غايته بطنه وفرجه ولا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه على فاحشة..»[1].

في الطرف المقابل نجد أن لله (رجالاً) استثنائيين، ولدوا في رحم المعاناة، وعاشوا بين سيف الحاكم وسوطه، وهذا صاغ (ذهب) شخصياتهم في أصفى صورها.. هؤلاء تفاعلت تعاليم الأئمة مع خلايا جسمهم وقطرات دمهم، فإذا بهم ينطلقون لا يوقفهم من مرامهم نهر ولا يحجزهم بحر..

وإذا كانت بلادهم قد كثر فيها الداعون إلى طريق أهل البيت، فإن بقية المناطق تحتاجهم، لكي يزرعوا فيها بذور الولاء والانتماء فما الفرق بين أرض وأخرى، أليست جميعها لله، والساكنون عليها عباده؟!.

---

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ٢١٤.

إن الانتماء الجغرافي لمنطقة، ليس سوى أمر اعتباري ذلك أنه «ليس بلد أولى بك من بلد، خير البلاد ما حملك» ويتأكد هذا المعنى في مواقع المسؤولية.

وإذا كان مثل الحسين بن سعيد يريد التأسي بأحد فلن يجد كأئمته عليهم السلام، فبينما تجد أن وطنهم كان الحجاز، إذا بهم تفرقهم مسؤولياتهم والظروف المحيطة بها إلى شتى أقطار الأرض، فبينما يدفن أمير المؤمنين بالنجف، يدفن ابنه الحسن في المدينة، والحسين في كربلاء وموسى الكاظم في بغداد، وها هو الرضا علي يعيش في خراسان. وإذا كانت الأسفار يومئذ، صعبة لكونها بواسطة الخيل أو الجمال، فقد كانت الهمم آنئذٍ قوية أيضاً، لذلك شد الحسين وأخوه الحسن ابنا سعيد رحال السفر وغادرا الكوفة حيث مسقط رأسيهما وغادرا متجهين إلى الأهواز.

وصلا الأهواز وبدلا من أن يحيط بهم شعور الغربة عن المجتمع فيمنعهم عن التفاعل معه والتأثير فيه، دخلوا في وسط الناس، وتعارفوا واستطاعوا أن يحولوا الاتجاه الفكري الموجود فيها إلى اتجاه خالص وواع بطريق أهل البيت عليهم السلام.

إن الحسين ليفكر دائماً، إن صناعة الشخص الكفوء وتربيته وفقاً للأفكار السليمة، سوف يكون له من التأثير الشيء الكبير، ومن الشخص يمكن صناعة التجمع المناسب.. وهذه المهمة لا يكفي فيها التوجيه العام، بل لا بد من تربية خاصة ينتخب فيها ذلك الفرد المطلوب بعناية تامة، لأنه سيؤهل إلى تغيير المجتمع وقيادته في المستقبل، وهنا فإن الغلطة هي بألف. ولا يكمن الخطر في المستقبل عند انتخاب الفرد غير الصالح بل إن ذلك الخطر يتناول الحاضر أيضاً، فباطلاع هذا الفرد (غير الصالح) على أفكار العاملين، وخطط عملهم، ومعرفته ـ تبعا لاختلاطه ـ بأسمائهم، سوف يجعل كل هذا الكيان في معرض التهديد الدائم.

والتوجيه العام وإن كان ضروريا ولا يمكن الاستغناء عنه إلاّ أن جهداً كبيراً يجب أن يصب في تربية نماذج خاصة، لتقوم هي أيضا بمهمة التوجيه والتربية، وهكذا وصولاً إلى حالة يكون فيها هذا التيار الفكري هو الغالب والمؤثر في المجتمع.

وهكذا كان يعمل الحسين الذي أصبح يعرف فيما بعد بالأهوازي، ذلك أنه من خلال تحركه في مناطق الأهواز ومحلاتها، استطاع أن ينتخب عدداً من رجالها، قدر لهم فيما بعد أن يصبحوا من كبار تلامذة الأئمة ووكلائهم وأن يستقيموا في الطريق الذي اختطه معلمهم قبل.

لقد توسّم الحسين ـ بعد أن راقب ـ في علي بن مهزيار، طاقات كبيرة تحتويها نفس عالية، وطموح كبير للكمال، لذلك ما أسرع أن وجه إليه اهتمامه، وغيث علمه فوجد فيه أرضاً طيبة صالحة، ولم يتركه حتى أدخله على الإمام الرضا عليه السلام،ثم استمر في تعليمه حتى أهله لأن يكون وكيل للإمام الجواد عليه السلام بحيث يخاطبه الإمام بأنه لم ير مثله.

وهكذا أدخل إسحاق بن إبراهيم الحضيني على الإمام الرضا أيضاً حيث أصبح وكيله فيما بعد..

ولم يكن أخوه الحسن غائباً عن هذه النشاطات، بل كانا كفرسي رهان يتسابقان في الخيرات تارة، ويتعاضدان أخرى،

فإذا كـان توجيـه النـاس يحتـاج إلى مـسابقة فـإنهما في التـأليف يتعاونان، لكي تأتي تلك المؤلفات ـ باعتبارها مجهـودا جمعيـا ـ أكثر دقة. فقد كتبا:

١. كتاب الوضوء.

٢. كتاب الصلاة.

٣. كتاب الزكاة.

٤. كتاب الصوم.

٥. كتاب الحج.

٦. كتاب النكاح.

٧. كتاب الطلاق.

٨. كتاب العتق والتدبير والمكاتبة.

٩. كتاب الإيمان والنذر.

١٠. كتاب التجارات والإجارات.

١١. كتاب الخمس.

١٢. كتاب الشهادات.

١٣. كتاب الصيد والذبائح.

١٤. كتاب الأشربة.

١٥. كتاب المكاسب.

١٦. كتاب الزيارات.

١٧. كتاب التقية.

١٨. كتاب الرد على الغلاة.

١٩. كتاب المناقب.

٢٠. كتاب المثالب.

٢١. كتاب الزهد.

٢٢. كتاب المروة.

٢٣. كتاب حقوق المؤمنين وفضلهم.

٢٤. كتاب تفسير القرآن.

٢٥. كتاب الوصايا.

٢٦. كتاب الفرائض.

٢٧. كتاب الحدود.

٢٨. كتاب الديات.

٢٩. كتاب الملاحم.

٣٠. كتاب الدعاء[١].

وبعد أن ركزا في الأهواز عددا من أبنائهما، وكلاء واعين وصحابة مخلصين، وقياديين مقتدرين، غادر الحسين الأهواز قاصداً إلى مدينة قم حيث بدأت تتحول إلى موقع يتجمع فيه شيعة أهل البيت من الأشعريين، الذين قدر لعدد منهم أن

(١) يلاحظ القارئ العزيز أن أسماء بعض هذه الكتب تتشابه مع أسماء كتب أخرى صنفها آخرون من أصحاب الأئمة، وربما حتى في محتوياتها والسبب أن طريقة التأليف كانت ـ حينئذٍ ـ رواية الحديث، حيث يرويه اللاحق عن السابق أو يرويه من طريق آخر، فمثلاً قد يروي علي بن مهزيار عدداً من الأحاديث في الزهد عن شيخه ومعلمه الحسين بن سعيد.. ويخرجها في كتاب ويكون الحسين نفسه قد أخرجها في كتاب باسمه أيضاً.

يصبحوا فيما بعد أيضاً من (رجـال أهـل البيـت): ولم يطـل بـه المقام، فقد كان وهو المتعود على الهجرة والسفر على موعد سفر أكبر، إلى حيث جنان الخلد..

يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن

توفي سنة ١٧٧ هـ

شهيداً في سجن هارون الرشيد

كما حمل نسل الحسين عليه السلام لواء الإمامة الإسلامية مجسدين بعلمهم وحسن هديهم نبوة جدهم، فقد حمل نسل الإمام الحسن السبط عليه السلام لواء الثورة وإنكار المنكر في أدوار التاريخ الإسلامي، وشكلوا ـ مع أبناء زيد بن علي ـ علامة اعتراض صارخة في وجه مؤسسات الظلم والعدوان على دين الله وحق عباده، وكانت السلطات ترقب هذه العوائل بعين ضيقة من الشك، واسعة من الخوف..

فلو أخذنا عينة من هذه العوائل، شخصية عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط الذي قضى في سجن هارون العباسي يرسف في قيده، لوجدنا أن ثلاثة من أبنائه قد حملوا مشعل الثورة في ثلاث مناطق من العالم الإسلامي مهمة، واشترك

باقي أبنائه في هـذه الثـورات.. فابنـه محمـد المعـروف بـالنفس الزكية قام بثورة في المدينة المنـورة، وابنـه الآخـر إبـراهيم تـابع مسيرة أخيه فأشـعل الفتيـل في البـصرة، وكـاد أن يغلـب عـلى مناطق كثيرة من العراق لولا سهم غارب أنهى حياته، والثالث إدريس الذي ثار وأسس دولة في المغرب. والرابع يحيـى الـذي ثار في مناطق الديلم.

وهكذا كان هؤلاء بقية السيف، وثمالة السجون، الواحـد منهم أمة، والرجل فيهم بآلاف.

يحيى.. رباه الإمام الصادق عليه السلام لذلك كان يسميه يحيـى (حبيبـي) إذا روى عنـه، ولم يكـن يحيـى مجهـول الـشخص أو الشخصية فقد كان يأتي إلى مالك بن أنس في المدينـة فيقـوم لـه عن مجلسه، وكانت تعرف سيماء الأنبياء في وجهه[1].

سمع من الإمام الصادق، وروى عنه[2]، كما سمع من ابنـه الإمام الكاظم عليه السلام وكان جيد المعرفـة، فحـين بـدأ الغـلاة في

---

(١) مقاتل الطالبيين/ ٣٠٩.

(٢) أمالي المفيد/ ١٢٢.

نـشر أفكـارهم المنحرفـة، وجـدنا يحيـى قـد أقبـل إلى الإمـام الكاظم عليه السلام، وقال:

ـ جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب!!.

فقال عليه السلام: ـ سبحان الله.. ضع يداك على رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت.. ثـم قـال لا والله مـا هي إلاّ وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

بعد أن حصل على المعرفة الكافية اشترك مـع الحـسين بـن علي (صاحب فخ) في ثورته، وأبلى فيها بلاء حسناً، وكـان مـن بين الجرحى إلاّ أنه استطاع أن يختفي، ويستتر مدة من الزمـان، حتى وصل إلى الديلم (شمال شرق إيران حاليا).

وكان في كل مكان يحلّ فيه يدعو إلى الثورة على العباسـيين وتحقيق العدالة وبيعة الرضا من آل محمد.

---

(١) وردت رواية تفيد أن يحيى كتب للإمام عليه السلام رسالة عنيفة قبيل ثورته ورد عليه الإمام جوابها.. إلاّ أن العلامة المجلسي رحمه الله حملها وسواها على التقية، لكيلا يحسب العباسيون الثورة من صنع الإمام فيقتل، حفاظ على موقع الإمامة.

ولم يستطع هارون منازلة يحيى، ذلك أنه تحصن بتأييد أهالي مناطق الديلم وأطرافها، والتي كانت ممتنعة طبيعياً بسبب بعدها عن مركز الحكم.

ومع أن هارون ولّى الفضل بن يحيى البرمكي بلاد الديلم وسيّره في خمسين ألف جندي، إلاّ أن ذلك لم يكن بنافع، لهذا توسل الفضل لإنجاز المهمة المناطة به، بالوسائل السلمية.

من جهته.. كان يحيى يشهد في جبهته الداخلية تصدعاً قاده الحسن بن صالح الذي حاول لتحقيق مطامحه في الزعامة، أن يستفيد من الفرصة، مما أدى إلى إضعاف الوضع العام في جبهة يحيى..

اختار يحيى ـ إبقاء على أصحابه، وتبعا للوضع الجديد الذي ساد في تجمعه ـ الاستجابة إلى دعوة الفضل بإلقاء السلاح وكتب لنفسه ولأتباعه أماناً مؤكداً، وثيقاً، وشرط في ذلك شروطاً كثيرة.

وهكذا عاد يحيى إلى بغداد محمياً بالأمان الذي شهد عليه

كبار العلماء والفقهاء، هو وأصحابه، إلاّ أن هارون الذي لم يكن يحجزه ورع لم يكن ليقف أمامه ورقة مكتوبة!! فما لبث أن وضعه في المنزل تحت المراقبة، وكان يناظره أحياناً كثيرة ليقف من خلال ذلك على زلة لسان منه تبرر له القضاء عليه، إلاّ أن يحيى كان يفوت تلك الفرصة على هارون.

بل كان يحاول أن يصطنع الشهادات ضده من أنه يدعو إلى الثورة على العباسيين، ولم يكن يحيى يعدم الأعداء كما لم يكن هارون يعدم المرتزقة الذين يشهدون بالزور من أجل التقرب من الخليفة.. فقد رفع عبد الله بن مصعب الزبيري إلى هارون أن يحيى قد دعاه إلى بيعته، بعد إعطائه الأمان..

وقال له: نعم يا أمير المؤمنين إن هذا دعاني إلى بيعته.

قال له يحيى: يا أمير المؤمنين. أتصدق هذا وتستنصحه؟ وهو ابن عبد الله ابن الزبير الذي ادخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى تخلصه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه عنوة. وهو الذي بقي أربعين جمعة لا

يصلي على النبي صلى الله عليه وآله في خطبته حتى التاث عليه الناس، فقال: إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكره. وهو الذي فعل بعبد الله بن العباس مالا خفاء به عليك حتى لقد ذبحت يوما عنده بقرة فوجدت كبدها قد نقبت فقال ابنه علي بن عبد الله: يا أبه أما ترى كبد هذه البقرة؟ فقال: يا بني، هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه: يا بني، الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة. فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير. ووَالله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزلة سواء، ولكنه قوي علي بك وضعفت عنك، فتقرب بي إليك، ليظفر منك بما يريد، إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك في، فان معاوية بن أبي سفيان، وهو أبعد نسبا منك إلينا، ذكر يوما الحسن بن علي فسفهه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك،

فزجره معاوية وانتهره فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين! فقال: إن الحسن لحمي آكله. ولا أوكله.

فقال عبد الله بن مصعب: إن عبد الله بن الزبير طلب أمرا فأدركه. وإن الحسن باع الخلافة من معاوية بالدراهم، أتقول هذا في عبد الله بن الزبير، وهو ابن صفية بنت عبد المطلب؟

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما أنصفنا أن يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والأساميات والحمديات!

فقال عبد الله بن مصعب: ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟

فرفع يحيى رأسه إليه، ولم يكن يكلمه قبل ذلك، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبد الله.

فقال له: أتوثبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم ـ أصلحك الله ـ عرّفني فلست أعرفكم؟ فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك ثم غلب عليه الضحك ساعة، وخجل ابن مصعب.

ثم التفت يحيى فقال: يـا أمـير المـؤمنين، ومـع هـذا فهـو الخارج مع أخي على أبيك والقائل له:

إن الحمامة يوم الشعب مـن دثـن

هاجت فـؤاد محـب دائـم الحـزن

إنـــا لنأمـــل أن ترتـــد ألفـــــتنا

بعد التـدابر والبغـضاء والإحـن

حتى يثاب على الإحسان محـسننا

ويأمن الخـائف المـأخوذ بالـدمن

وتنقـضي دولـة أحكـــام قادتهـا

فينا كأحكـام قـوم عابـدي وثـن

فطالما قد بـروا بـالجور أعظمنـــا

برى الصناع قداح النبـع بالـسفن

قوموا ببيعتكم نـنهض بطاعتنـــا

إن الخلافة فيكم يـا بنـي حـسن

لا عز ركنـا نـزار عنـد سطوتهـــا

إن أسلمتك ولا ركنـا ذوي يمــن

ألست أكرمهم عـودا إذا انتـسبوا

يوما وأطهـرهم ثوبـا مـن الـدرن

وأعظم الناس عند الناس منزلـة

وأبعد الناس من عيب ومن وهن

فتغير وجه الرشيد عنـد اسـتماع هـذا الـشعر، فابتـدأ ابـن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو، وبـأيمان البيعـة أن هـذا الشعر ليس له وانه لسديف.

فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفـت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبـد في يمينـه

بقوله: الرحمن الرحيم، الطالب الغالب، استحيا أن يعاقبه، فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل.

قال: حلّفه. قال: قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلدت الحول والقوة من دون الله، استكبارا على الله، واستغناء عنه واستعلاء عليه إن كنت قلت هذا الشعر.

فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا؟ هذا طيلساني علي، وهذه ثيابي لو حلفني أنها لي لحلفت.

فرفس الفضل بن الربيع عبد الله ابن مصعب برجله وصاح به: احلف ويحك ـ وكان له فيه هوى ـ فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال: يا بن مصعب قطعت والله عمرك، والله لا تفلح بعدها. فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات في اليوم الثالث. فحضر الفضل بن الربيع جنازته، ومشى الناس معه، فلما

جاءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده وجعل اللبن فوقه، انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس، فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرة عظيمة، فصاح الفضل: التراب التراب فجعل يطرح التراب وهو يهوى، ودعا بأحمال الشوك فطرحها فهوت، فأمر حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسرا.(١)

وإذا كان لكل شيء آفة، فإن آفة الإيمان الفقهاء المرتزقة، ألم يكن أعداء الأنبياء والأولياء أمثال بلعم بن باعوراء، الذين ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟! ألم يقتل أمير المؤمنين عليه السلام في محراب صلاته بسيف ابن ملجم المغموس في فتوى فقهاء الخوارج؟ وألم يقتل حجر بن عدي و(ستة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء) في مرج عذراء، بفتوى أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري؟! وهل حز رأس الحسين غير فتوى شريح؟!. وهكذا لو تتبعت هذه القائمة

---

(١) مقاتل الطالبيين ٣١٧

المهينـة لألفيتهـا مليئـة بعبـاد الـدنيا، وأسراء الـشهوة وخـدم السلطان. وكان لهارون الكثير الكثير.. من هؤلاء، ذلـك أنـك بينما ترى جواهر الرجال نـادرة، تجـد مـن الأشـواك والحـصى وغثاء السيل الكثير.. وهكذا جمع هارون (الفقهـاء) في بلاطـه وفيهم محمد بن الحسن، صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبـو البخـتري وهـب بـن وهـب، وخـرج عليهم مسرور الخادم بكتاب الأمان، وكـان هـارون قـد اتخـذ قراره بإعدام يحيى ولكنه كان يفتش عن (لحية خرقـاء) يمـسح بها دمه أمام الناس.

فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه وقال: هـذا أمـان مؤكـد لا حيلة فيه!! فصاح مسرور به: هاته!! أي لست صاحبه، فدفعـه إلى الحسن اللؤلؤي فقال بصوت ضعيف: هو أمان!!.

وبرقت الدنيا في عينـي أبي البخـتري، وكـان قـد تمـرغ في الفقر، وتصور للحظـة كيـف أنـه عنـدما يلبـي رغبـة هـارون سيصبح قاضي القـضاة.. يتحـسس عـلى بدنـه الحلـل اليمانيـة

الناعمة، كيف سينحني له القضاة، ويأتيه أصحاب القضايا بالهدايا راجين، طالبين، كان قد سكر بخمر لم يشربها بعد! لقد أخذت الدنيا في عينيه لونا آخر.. ها هو يقبض ثمن السنين الماضية!! ويؤتى نتيجة (أتعابه) في الدرس والبحث، وإذا كان لا يرجو في الأخرى شيئاً لأنه لم يعمل لها، فلماذا يضيع هذه الفرصة؟!.

لم ينتظر أبو البختري مسروراً لكي يأتي به فمن يدري لعل شخصاً آخر من باعة الدين في دكان الدنيا يبادر، فيسلبه هذه الفرصة إلى الأبد!! لذلك انقض عليه واستلبه من يد الحسن اللؤلؤي، وبدون أن ينظر فيه قال: هذا باطل منتقض، قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فاقتله، ودمه في عنقي!!.

لم يتوقع مسرور كل (هذا اللطف) فذهب يعدو لهارون مخبراً. فقال له هارون: قل له خرّقه إن كان باطلا بيدك!.

وأخذ أبو البختري سكيناً وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً فأدخل مسرور على الرشيد الذي وثب وأخذه

من يده وهو فرح ويقول له: يا مبارك يا مبارك!!.

ووهب لأبي البختري مليون وستمائة ألف وولاه القضاء!..

وهكذا تمت الصفقة مليون وستمائة ألف+ القضاء= قتل ثائر علوي من نسل الرسول.

روى من كان مع يحيى في المطبق:

كنت قريباً منه فكان في أضيق البيوت وأظلمها فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة، فإذا هارون قد أقبل على برذون له ثم وقف وقال: أين هذا؟! (يعني يحيى بن عبد الله) قالوا: في هذا البيت. قال: عليّ به. فأدني إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه. فقال: خذوه! فأخذوه. فضرب مائة عصا. ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول: بقرابتي منك. فيقول ما بيني وبينك قرابة.

ثم حمل فرُد إلى موضعه فقال: كم أجريتم عليه؟! قالوا:

أربعة أرغفة، وثمانية أرطال ماء.. فقال: اجعلوه على النصف. ثم خرج ومكثنا ليالي ثم سمعنا وقعا فإذا نحن به حتى دخل. فقال: علي به فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك. وضربه مائة عصا أخرى.. فقال كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفين وأربعة أرطال ماء فقال: اجعلوه على النصف. ثم خرج وعاد الثالثة.. وأيضا أمر أن يجعل على النصف..[1] ثم لم يلبث يحيى أن انتقل إلى رحمة الله.

---

(١) المصدر ٣٢٠.

دعبل بن علي الخزاعي

العمر: ٩٨ عاما

الوفاة: سنة ٢٤٥ هـ قتلاً بيد أعوان مالك بن طوق

«وكان من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي عليه السلام ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار..»

أبو الفرج الأصفهاني

منذ أن اشتهر كشاعر قدير، وصار محط اهتمام الخلفاء والأمراء والأغنياء كان من الواضح لديه جيداً أن أمامه طريقين ؛ طريق الشعراء الكسبة والأدباء المرتزقة، يدخله إلى عالم بهيج من المال والعطايا والجواري والشهرة الكبيرة.. حين يصبح العازف الأول في (أوركسترا) ـ البلاط الحاكم.. هذا الطريق الذي سلكه ويسلكه كثيرون فينقلهم من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش ومن الخمول إلى فتات شهرة الخليفة.

وطريق آخر يسلكه المؤمنون وأصحاب المبادئ، بقالين كانوا أم علماء ومقاتلين أم شعراء، يبدأ بالالتزام ويمرّ بالمقاومة وينتهي ـ أحياناً كثيرة ـ إلى الشهادة في هذا الطريق سيكون المرء والشاعر ـ خصوصاً مضطراً لقول الحق إيجاباً في مدح أهل الحق، وإعلان الانتماء إليهم ودعوة الناس لموالاتهم، وسلباً في التنديد بأعدائهم، وإعلان الحرب على ظالميهم ذلك أنه «سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم».

لقد كان النزاع في داخله ـ كما هو حال أي إنسان ـ في هذا الموقف محتدماً بين الشاعر المرتزق، والمؤمن المنتمي..

ولم يكن عقل دعبل[1] الخزاعي وحده في هذا الميدان.. لقد كان له الدور الأول دون شك إلاّ أن نشأته في منطقة اعتبرت مركزا من مراكز التشيع أثر في حسم هذا الصراع فهو كوفي المنبت والمنشأ، إضافة إلى أن جذوره تضرب في الصميم من خزاعة، تلك القبيلة التي حالفت بني هاشم في الجاهلية

(١) دعبل: بكسر الدال وإسكان العين وكسر الباء، ومعنى الكلمة: الناقة الشابة القوية.

ووالت أهل البيت بعد الإسلام، حتى لقد أعطاهم معاوية ابن أبي سفيان وساماً يغبطهم عليه غيرهم.. إذ أنه لما رأى شدة استبسال خزاعة في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلا عن رجالها لفعلت[1].

عقله، وانتماؤه، من جهة، ونشأته وأصوله من جهة أخرى هذه العوامل حسمت الصراع في داخله لصالح المؤمن المنتمي نهائياً.

ومنذ ذلك الحين حمل على ظهره خشبة صلبه، يطوف بها من مكان إلى آخر، جاعلا من كل قصيدة، "دليل إدانة وحبل مشنقة في وقت واحد، ولم يكن يملك إلاّ لسانه وقريحته الشعرية التي حولت الأرض تحت أرجل الحاكمين إلى سعدان شائك، وقصائده التي كانت منشورات سياسية تنتقل على ألسنة الناس من رواة وسوقة. لقد تزاوج ما كان يحمل من

(١) شرح النهج ١/ ٤٨٦

عقيـدة رافـضة لتلـك المهـازل التـي كانـت تـسمى (الخلافـة والخلفاء) مع تلك القدرة الشعرية الرائعـة. فأنتجـت مواقـف تتناقل بين الناس، وقصائد تسعى بصاحبها إلى الحتف في سبيل عقيدته.

فبالرغم من أن هـارون الرشـيد الخليفـة العبـاسي حـاول استمالته في بداية أمره وأعطاه عـلى إحـدى قـصائده (الغزليـة) مبلغاً من المال، إذ كان الخلفـاء يـشجعون أن ينـشغل الـشعراء بمدح الخلفاء والتغنـي بـالجواري!! ويتركـوا بقيـة المجـالات للخلفاء أنفسهم!! إلاّ أن ذلك لم يكن ليغير من عقيدة دعبل في هارون، كيف وعلى يديه جرت دمـاء الطـالبين بحـراً؟!. فلـم يشأ دعبل أن يخلو شعره مـن موقـف تجـاه هـارون ومـن كـل الجهاز العباسي فنظم قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أرى بنـي أميـة معـذورين إن قتلـوا

ولا أرى لبنـي العبـاس مـن عـذر

قبران في طوس خـير النـاس كلهـم

وقــبر شرّهــم هــذا مــن العــبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا

على الزكي يقرب الرجس من ضرر

مــشيرا بــذلك إلى تجــاور قــبري هــارون مــع الإمــام الرضا عليه السلام.

ويجهل بعض الكتاب أو يتجـاهلون فيزعمـون أن دعبـل كان منكراً لجميل الخلفاء وإحسانهم إليـه! يجهلـون أن المـؤمن المنتمي هو الذي كان يتحرك في شعر دعبل لا الـشاعر المرتـزق الذي يكيف موقفه حسب المنح والعطاء!!.

لذلك فبالرغم مما كان يظهره المأمون العباسي مـن تقـرب إلى أهل البيت عليهم السلام، إلا أن ذلك لم يكن ليغير عقيـدة دعبـل في أصل الخلافة واغتصابها من قبل العباسيين.

وكان لا بد لخط الخلفاء هذا، أن ينتهي إلى ادعـاء إبـراهيم

المهدي لخلافة المسلمين، وإبراهيم بن المهدي كان قصافاً عزافاً صاحب عود وطنبور، ويلقب بـ (المغني)، ولما أعلن (ثورته) بعد أن بايع المأمون للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد، فقد تبع إبراهيمَ من هو على شاكلته، حتى نفذ عطاؤه فاحتجب عنهم، فهو لا يملك المال ليواجههم ويعطيهم، حتى اقترح أحد قادته عليه اقتراحاً طريفاً وهو أن يقسم الجيش (الثائر) إلى قسمين ويخرج ليوزع عليهم الألحان.. لحناً لهذا القسم وآخر لنظيره وهكذا حتى (يشبعوا) من الألحان.. ولم تفُت المناسبة عن دعبل الذي كان يرى أن خط الخلافة ينتهي إلى هذا الأمر بعد أن أبعد خط الإمامة من قيادة الأمة، فنظم قصيدته الطائية التي تحولت إلى (نكتة سياسية) تزين المجالس: فقد قال مخاطباً (ثوار) المغني إبراهيم:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا   وارضوا بما كان ولا تسخطوا

فسوف تعطون حنينية[1]   يلذها الأمرد والأشمط

---

(١) حنينية: ألحان منسوبة إلى حنين المغني، والمعبديات لمعبد و البربط آلة موسيقية.

والمعبـــديات لقـــوادكم لا تـدخل الكـيس ولا تـربط

وهكـــذا يـــرزق قـــوادَه خليفـــةٌ مـــصحفه الـــبربط

وقد نال المعتصم العباسي من قوارص لسانه مـا نـال مـن سبقه ومن سيلحقه، إذ الموقف لدى دعبـل، موقـف تجـاه هـذا الجهاز الفاسد، وهذا الخط قبل النظر إلى مـن يكـون في داخلـه وإن كان الذين نزوا على هذا الجهـاز لم يخيبـوا قـول القـادحين فيهم، فقد قال لما تولى المعتصم الخلافة:

وقال إمام لم يكن ذا هدايـة فليس له دين وليس لـه لـب

ومـــا كانـــت الأنبـــاء تـــأتي بمثلـــه

يُملّك فيهـا أو تـدين لـه العـرب

ولكـــن كـــما قـــال الـــذين تتـــابعوا

من السلف الماضي الذي ضـمه الـترب

ملوك بني العباس في الكتب سـبعة

ولم تأتنـــا في ثـــامن مـــنهم الكتـــب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة

غداة ثووا فيه وثامنهم كلب

وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة

لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

كأنك إذ ملكتنا لشقائنا

عجوز عليها التاج والعقد والأثب

فقد ضاع أمر الناس حين تسوسهم

وحل بهم عسر و قد عظم الخطب

وقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم

وصيف وأشناس وقد عظم الكرب[1]

وهكذا وبعد المعتصم حيث أصبح أمر المسلمين لعبة بيد الغلمان الأتراك، والخلفاء الغلمان، فلا تمر جمعة إلا وقد تغير

---

(١) وصيف وأشناس من القادة العسكريين الأتراك المتنقذين في عهد المعتصم العباسي.

الخليفة حتى ليحار الخطيب، لمن يخطب؟! وكان لسان حال المسلمين في كل ذلك هو ما قاله دعبل معبراً عن الرأي العام:

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

فمر هذا ومر الشوم يتبعه وقام هذا وقام الشوم والنكد

وهكذا فهو بهذه المواقف كان يعرض نفسه دائماً للهلاك، لا كمن يريد التكسب!! ومن عجبٍ أن المعري يزعم أن دعبلاً كان يريد التكسب بتشيعه وهل كان وراء التشيع إلا غضب الخلفاء وطرد الأمراء، وأحيان كثيرة القتل؟! لقد كان يُلام دعبل وراء كل قصيدة يقولها مضاراً للخليفة، ورافضاً لظلمه، وكان يلام على ذلك، إلاّ أنه كان يقول ـ ودائما-: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على ظهري أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك.

وبقدر ما كان صاخبا متحديا في معالجته لقضايا الخلفاء، عنيفا على ظلمهم وانحرافهم وتهتكهم، راثياً حال المسلمين في

ظل حكمهم، كان يذوب رقة وحزناً وأسى عندما يتعرض لمصائب أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم، يجدوه في ذلك موقف عقائدي والتزام مبدئي، حاله يجسده أحد أبياته:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها

وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

وذلك الرثاء عنده لم يكن حالة انكفاء سلبي بل في نفس الوقت كان يأمل أن تنتهي أيام الجور، وحتى إذا لم تنته فإنه قد أدى ما عليه من الولاء وتحمل مسؤولية انتمائه في هذه الحياة، فهو يتحدث عن ذلك الانتماء:

نبذت إليهم بالمودة صادقاً

وسلمت نفسي طائعاً لولاتي

فيا رب زدني في هواي بصيرة

وزد حبهم يا رب في حسناتي

وإني لمولاهم، وقال عـدوهم وإني لمحزون بطـول حيـاتي

ثم، وبعد أن يعدد الماسي التي انصبت عـلى أهـل البيـت عليهم السلام ينطلق

إلى المستقبل، وينظر إليه بعين التفاؤل والأمـل ويتحـدث عن النهضة المهدوية، مما كان يعنـي أن الأمـر شـديد الوضـوح عند شيعة أهل البيت عليهم السلام :

فلولا الذي أرجوه في اليـوم أو غـد

تقطـع نفـسي أثـرهم حـسراتي

خروج إمام لا محالـة خـارج يقوم على اسم الله والبركـات

فيا نفسي طيبي ثم يـا نفـس ابـشري

فغـير بعيـد كـل مـا هـو آتي

ولا تجزعـي مـن مـدة الجـور إننـي

أرى قـوتي قـد آذنـت بثبـات

فإن قـرب الـرحمن مـن تلـك مـدتي

وآخر من عمري ووقت وفـاتي

فـإني مـن الـرحمن أرجـو بحـبهم

حياة لدى الفردوس غير بتـات

ونلمس مدى تقدير الإمـام الرضـا عليه السلام الـذي اخـتص دعبلاً بالدعاء له بالأمن يوم الفزع الأكبر لما قـال بيتـه الـسابق (وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي). وكذلك عطـاؤه لـه، لمـا كـان دعبل يمثل من عمق الانتماء لخط أهل البيت عليهم السلام..

ولنتعرف على صورة كاملة لفكره وشعره، ننقل جانبا مـن قصيدته التائية المعروفة، بـ(مدارس):

بكيـت لرسـم الـدار مـن عرفـات

وأذريـت دمـع العـين بـالعبرات

وفك عرى صبري وهاجت صبابتي

رسـوم ديـار قـد عفـت وعـرات

مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة

ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات

لآل رسـول الله بـالخيف مـن منـى

وبالبيـت والتعريـف والجمـرات

ديـار عـلي والحـسين وجعفـر

وحمـزة والـسجاد ذي الثفنـات

وسـبطي رسـول الله وابنـي وصـيه

ووارث علـم الله والحـسنات

منـازل وحـي الله ينـزل بينهـا

عـلى أحمـد المـذكور في الـسورات

منـازل كانـت للـصلاة والتقـى

وللـصوم والتطهـير والحـسنات

ديــار عفاهــا جــور كــل منابــذ

ولم تعــفُ للأيــام والــسنوات

فيــا وارثــي علــم النبــي وآلــه

علــيكم ســلام دائــم الــنغمات

لقــد أمنــت نفــسي بكــم في حياتهــا

وإني لأرجــو الأمــن بعــد وفــاتي

❀❀❀

ســقى الله قــبراً بالمدينــة غيثــه

فقــد حــل فيــه الأمــن بالبركــات

نبــي الهــدى صــلى عليــه مليكــه

وبلــغ عنــا روحــه التحفــات

وصــلى عليــه الله مــا ذر شــارق

ولاحــت نجــوم الليــل مبتــدرات

أفـاطم لـو خلـت الحـسين مجـدلاً

وقـد مـات عطـشانا بـشط فـرات

إذا للطمـــت الخـــد فـــاطم عنـــده

وأجريت دمع العـين في الوجنـات

أفاطم قـومي يـا ابنـة الخـير وانـدبي

نجـوم سـماوات بـأرض فـلات

قبـــور بكوفـــان وأخـــرى بطيبـــة

وأخـــرى بفـــخ نالهـــا صـــلواتي

وقـــبر ببغـــداد لـــنفس زكيـــة

تـــضمنها الـــرحمن في الغرفـــات

فقال له الرضا عليه السلام أفلا ألحقت لك ببيتين بهـذا الموضـع بهما تمام قصيدتك؟!

قال دعبل: بلى يا ابن رسول الله، فقال الرضا عليه السلام:

وقــبر بطــوس يــا لهــا مــن مــصيبة

ألحــت عــلى الأحــشاء بــالزفرات

إلى الحــشر حتــى يبعــث الله قــائماً

يفــرّج عنــا الغــم والكربــات

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟!.

فقال الرضا عليه السلام: هو قبري.. وأكمل دعبل:

فأمــا الممــضات التــي لــست بالغــاً

مبالغهــا منــي بكنــه صــفات

قبور بجنب النهر مـن أرض كـربلا

معرســهم فيهــا بــشط فــرات

توفــوا عطاشــى بــالفرات فليتنــي

توفيــت فــيهم قبــل حــين وفــاتي

نبــذت إلــيهم بــالمودة صــادقاً

وســلمت نفــسي طائعــاً لــولاتي

فيــارب زدني في هــواي بــصيرة

وزد حــبهم يــارب في حــسناتي

لقـد خفـت في الـدنيا وأيـام سـعيها

وإني لأرجـو الأمـن بعـد وفـاتي

ألم تــر أني مــذ ثلاثــين حجــة

أروح وأغــدو دائــم الحــسرات

أرى فيــئهم في غــيرهم متقــسماً

وأيــديهم مــن فيــئهم صــفرات

فكيــف أداوى مــن جــوى بي

والجوى أمية أهل الفسق والتبعـات

ديــار رســول الله أصــبحن بلقعــاً

وآل زيـــاد تـــسكن الحجـــرات

وآل رســول الله تــسبى حــريمهم

وآل زيـــاد ربـــة الحجـــلات

وآل رســول الله تــدمى نحــورهم

وآل زيـــاد آمنـــو الـــسربات

إذا وتـــروا مـــدوا إلى واتـــريهم

أكفـــا مـــن الأوتـــار منقبـــضات

❀❀❀

فلولا الذي أرجـوه في اليـوم أو غـد

تقطــع نفــسي أثــرهم حــسراتي

خـــروج إمـــام لا محالـــة خـــارج

يقــوم عــلى اســم الله والبركــات

يميــز فينــا كــل حــق وباطــل

ويجــزي عــلى الــنعماء والــنقمات

فيا نفس طيبي ثم يـا نفـس أبـشري

فغـــير بعيـــد كـــل مـــا هـــو آتي

ولا تجزعـي مـن مـدة الجـور إننـي

أرى قـــوتي قـــد آذنـــت بثبـــات

فإن قـرب الـرحمن مـن تلـك مـدتي

وأخّر مـن عمـري ووقـت وفـاتي

شــفيت ولم أتــرك لنفــسي غــصة

ورويــت مــنهم منــصلي وقنــاتي

فإني من الرحمن أرجو بحـبهم حيـاة

لــدى الفــردوس غــير تبــات[1]

---

(١) أعيان الشيعة ٦/ ٤١٨.

وأخيراً.. كان على موعد مع النهاية، ككل النـاس، ولكنـه لما كان يختلف عنهم في طريقـة حياتـه، اختلفـت أيـضاً طريقـة شهادته ونهايته، فقد عهد مالك بن طوق بعد أن هجا المعتـصم العباسي وهجاه، عهد إلى شخص باغتياله، وفعـلا فقـد ضربـه وهو خارج بعد صلاة العشاء إلى قومه بعكاز لـه زج مـسموم، ومضى شهيداً.

وليس غريبا على الطغاة وأعوانهم أساليب الاغتيال.. كـما ليس غريباً على المؤمنين وقادتهم الـشهادة.. ألـيس القتـل لهـم عادة وكرامتهم من الله الشهادة؟!.

نساء حول الإمام الرضا عليه السلام

فاطمة (المعصومة)

بنت موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام

توفيت في بلدة قم المقدسة سنة ٢٠١ هـ

«من زارها فله الجنة»(١)

الإمام الرضا عليه السلام

ربما يمتلك الأقوياء من أصحاب السلطة والثراء، ناصية الزمان في برهة منه، فيصبح مطبوعا باسمهم، في لافتاته، ونقوده، وصحافته. ويسكرون بخمر المجد والسلطان، متصورين أن الزمان لهم يدوم، وفي صالحهم يبقى، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ﴾(٢).

---

(١) ذكرنا في كتاب (من قضايا النهضة الحسينية) الوجه في مثل هذه الروايات، وكيف يتم الوعد بثواب عظيم على عمل بسيط فليراجع.
(٢) سورة المؤمنون آية ٥٥ ـ ٥٦.

ما أن تزول وطأة هؤلاء عن الناس، وصورتهم من الواجهة حتى ترمى في أسوأ الأماكن. بل يتحير أصحابها كيف يتخلصون منها؟ وتمر أيام أخرى فإذا بالنسيان والإهمال يكون سيف العدل الذي يسلط على هؤلاء، وبالرغم من حرص أخلافهم على إحياء ذكرهم، باسم شارع أو مؤسسة أو غير ذلك، إلا أن ذلك لا ينفع شيئا.

بينما الصالحون يتمددون على أريكة الزمان، وينتشرون على خط الدهر، ولا يحتاجون إلى شيء لكي يقدسهم أمثالهم، ويحيوا ذكراهم، ويعايشوا صفاتهم وأخلاقهم، ويرفعوا لهم المزارات والمشاهد، فيصبح كل شبر من المكان ناطقا بفضيلة صاحبه، وكل ذرة رمل منه تفوح ذكرا وعطرا، ويتنفس المؤمنون من ذلك المكان شذى المكين، وعبق صفاته الطيبة، ويا لَلعدل الإلهي، ويا لَسُنة الحق، التي تجازي وتجزي، في الدنيا قبل الآخرة!!

ويأتي بعد ذلك العارفون والواعون، فيدرسون حكمة

الزمان، ويتعلمون ـ عيانا لا سماعا ـ ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[1].

يمر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه على طاق كسرى، وقد بقيت منه الأطلال فيتمثل أحدهم بقول الشاعر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ألا قلت ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ﴿ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ ﴿ كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ ﴿ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرض وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾[2] إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين و لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم و كفر النعم لا تحل بكم النقم انزلوا بهذه الفجوة.

ويمر بعد ثلاثة عشر قرنا أحد الشعراء على قبر أمير المؤمنين فيلاحظ ذلك السمو القدسي والجموع الواردة عطشى والصادرة منتقعة من قيم الخير والفضيلة، ثم يمر بعدها على بقعة سكر الذباب بها فراح يعربد، فينطلق فيه لسان الحكمة،

---

(١)سورة الأحزاب آية ٦٢.

(٢)سورة الدخان آية ٢٥ ـ ٢٩.

وينشئ تلك القصيدة الخريدة التي هي بحق (حكمة الزمان)[1] لو كان يعلمها أهل القوة والثروة.

ونمر على مشهد المعصومة، فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، فتتداعى في نفوسنا حزمة من المعاني، والصور التاريخية.. امرأة من نساء أهل البيت عليهم السلام، في عز شبابها تقضي في بلدة بعيدة عن مسكنها وأهلها، وبحسب المنطق العادي، فإن الزمان لا يبقي لها اسما ولا رسما، لكنها تتحول إلى مجتمع! ويصبح قبرها مركزا لأمة.. ومنبعثا لحضارة علمية عظيمة!!

بينما ذهب المأمون وهو الحاكم، وتبعه العباسيون واحدا وراء الآخر، ولم يبق منهم ـ في الكتب ـ إلا عظة الزمان، وحكمة الأديان: أن ما لله يبقى وما لغيره يفنى!

---

(١) قصيدة قالها الشاعر العربي محمد المجذوب، منها:

أين القصور أبا يزيد ولهوها ... والصافنات ومجدها والسؤدد
أين الدهاء نحرت عزته على ... أعتاب دنيا سحرها لا ينفد
هذا مصيرك لو بصرت ببؤسه ... لأسال مدمعك المصير الأسود
كتل من الترب المهين ببقعة ... سكر الذباب بها فراح يعربد
قم وارمق النجف الشريف ... بنظرة يرتد طرفك وهو باك أرمد
تلك العظام أعز ربك قدرها ... فتكاد لولا خوف ربك تعبد

هلـــم بنـــا عزيـــزي القـــارئ، نتعـــرف عـــلى شيء مـــن خصوصيات هذه السيدة العلويـة الموسـوية، ولـئن لم نـستطع الدخول في كثير من التفاصـيل ـ لانـشغال المـؤرخين بألقـاب السلطان وتعداد أصـناف موائـده وأسـماء حريمـه وجواريـه، وأنغام مغنييه وقُصّافه وعُزّافـه ـ لكـن التفاصـيل ليـست هـي الأهم، وإنما الحكمة الباقية لو كانوا يعلمون.

بين سـنة ١٧٣ هــ و١٨٣ هــ وهـو تـاريخ شـهادة أبيهـا الكاظم عليه السلام، اختلفت روايات المؤرخين في سنة ولادتها، ولا يترتب على الخلاف الذي لا طريق لنا إلى تأكيد أحـد التـاريخين فيه إلا بعض الملاحظات التي تقرِّب أو تبعد من دون أن تكون دلـيلا قاطعـا، مثـل أن الإمـام الكـاظم عليه السلام بقـي في سـنواته الأخيرة مسجونا، ولا يمكن ـ لو كان مـسجونا طـول الـسنة ـ بحسب العادة أن تكون ولادة ابنته في نفس تلك الـسنة. إلا أن يقال أن سجنه لم يكن مستمرا طول السنة تلك..

بينما يترتب على القول الثاني وهو أن ولادتها كانت في سنة

١٧٣ هـ أي قبل ذلك بعشر سنوات، أن لا يبتلى بمحذور كون أبيها في السجن، فهو وإن سجن لعدة سنوات إلا أنها لم تكن متتابعة قطعا، ولم يؤخذ إلى بغداد إلا في أواخر حياته عليه السلام.. وتكون بناء على هذا القول تحت رعاية أبيها مدة عشر سنوات وهي فترة كافية لأمثالها لأخذ العلم على يديه فيكون ما نقله في كتاب (كريمهء أهل بيت) عن كتاب ابن العرندس الحلي: لا غبار عليها من هذه الجهة، فإنه قد نقل أن جماعة من شيعة أهل البيت قد قصدوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان لديهم مسائل للإمام الكاظم، وبعد الزيارة ذهبوا إلى بيت الإمام سائلين عنه وخرجت إليهم فتاة صغيرة السن ـ كانت هي فاطمة ـ وأخذت أسئلتهم مخبرة إياهم أنه ليس في البيت، ثم كتبت أجوبة المسائل تلك، وعادوا في يوم آخر واستلموا الأجوبة من غير أن يروا الإمام، لكنهم وفي أثناء طريقهم التقوا بالإمام وعرفوه، فحكوا له ما جرى وأن فتاة قد أخذت الأسئلة وأعطتهم إياها مع أجوبتها في اليوم الثاني، فنظر الإمام في

الأجوبة ولما انتهى من قراءتها، قال: فداها أبوها، فداها أبوها، فداها أبوها.

وعلى التقديرين فإن من المؤكد أن جُلّ تربيتها كانت على يد أخيها علي الرضا عليه السلام و من هنا نفهم سر العلاقة الخاصة التي كانت بينها وبينه، ومقدار حبه لها، واحترامها له.

ولهذا فقد كان أول ما عمله الإمام الرضا عليه السلام حين أجبر على قبول ولاية العهد أن يستقدم أخته إلى جانبه، بل ومعها عددا من إخوته وخلص أصحابه..

ولعل من المناسب الإشارة هنا إلى العلاقة غير الصافية التي كانت بين المأمون العباسي وبين الإمام الرضا عليه السلام والتي يكشفها جمع المأمون لأصحاب المقالات وأرباب المذاهب لغرض الانتصار على الإمام فقد نقلوا أن المأمون قد استجمع هؤلاء وأرسل إلى الإمام عليه السلام: إنه اجتمع إلي أصحاب المقالات و أهل الأديان و المتكلمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم و إن كرهت ذلك فلا تتجشم و إن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام ـ لياسر رسول المأمون ـ: أبلغه السلام و قل له قد علمت ما أردت و أنا صائر إليك بكرة إن شاء الله!

قال الحسن بن محمد النوفلي فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي و رقة العراقي غير غليظة فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك و أصحاب المقالات؟

فقلت جعلت فداك: يريد الامتحان و يحب أن يعرف ما عندك و لقد بنى على أساس غير وثيق البنيان و بئس و الله ما بنى!

فقال لي: و ما بناؤه في هذا الباب؟

قلت إن أصحاب الكلام و البدع خلاف العلماء و ذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر و أصحاب المقالات و المتكلمون و أهل الشرك أصحاب إنكار و مباهتة إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا صحح وحدانيته و إن قلت إن محمدا رسول الله

قالوا أثبت رسالته ثم يباهتون الرجل و هو يبطل عليهم بحجته و يغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك!

فتبسم عليه السلام ثم قال: يا نوفلي أ فتخاف أن يقطعوني على حجتي!

قلت: لا و الله ما خفت عليك قط و إني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله!

فقال لي: يا نوفلي أ تحب أن تعلم متى يندم المأمون؟

قلت: نعم

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم و على أهل الإنجيل بإنجيلهم و على أهل الزبور بزبورهم و على الصابئين بعبرانيتهم و على الهرابذة بفارسيتهم و على أهل الروم بروميتهم و على أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كل صنف و دحضت حجته و ترك مقالته و رجع إلى قولي علم المأمون أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له فعند ذلك تكون الندامة منه و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي

العظيم.. إلى آخر ما ذكره في البحار والعيون من تفاصيل المناظرة وكيف ندم فيها المأمون في آخر الأمر لما ظهر من فضل الإمام عليه السلام..

ويذكر تاريخ أهل البيت صورا مختلفة عن العلاقة غير المستقرة بين الإمام وبين المأمون. في هذه الظروف أرسل الإمام الرضا عليه السلام خلف أخته فاطمة لتأتي إليه في طوس، وخرجت مع عدد من أخوانها وأبنائهم وغلمانهم قاصدين الوصول إلى خراسان، وهنا يذكر المؤرخون أنها مرضت وسألت عن مقدار المسافة بينها وبين بلدة قم ـ التي يبدو أنها كانت على موعد معها فقد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه تحدث عنها وأنه ستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة بنت موسى..كما نقله في البحار.. فأخبرت أن المسافة ليست بالكثيرة فأمرت بأن تحمل إليها وهناك قضت نحبها.

بينما ذكر بعض المؤرخين أنهم لما وصلوا إلى بلدة ساوة، تمت مهاجمتهم من قبل أهلها والفئة المتنفذة فيها وكانوا

مشهورين بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام، وحوصرت القافلة التي كانت فيها فاطمة المعصومة، فقتل منهم جمع وشرد الباقون حتى أن أخا الإمام الرضا وأخاها هارون قد هاجموه وهو يتناول الطعام فقتلوه.[1]

وإذا كان الثاني صحيحا وهو لا تأباه الظروف التي كانت سائدة آنئذ، فقد نقل أيضا أن عددا آخر من إخوة الرضا وبني عمومته خاضوا معركة حامية الوطيس مع جنود المأمون العباسي في منطقة شيراز.

وسواء كان هذا أو ذاك فإنها لم تبق إلا أياما معدودة حتى فارقت الدنيا.

المشاهد والمراكز العلمية:

كان من سنة الحياة أن يحيا ذكر فاطمة بنت موسى بن جعفر، وأن يعمر ما حولها، وإن لم تنفق في سبيل ذلك شيئا،

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي.

وأن يهلك ذكر أهل الدنيا والمال والقوة، فتحول ذلك القبر إلى مهوى للأفئدة، ومجتمعا لرجال العلم وطالبي الفضل، ورواد المعرفة.

وها أنت ترى وضع مدينة قم المقدسة التي مالت إليها فاطمة، عندما وصلت إلى بلدة ساوة، واستقبلها حينئذ أشعريو قم، الثائرون العرب اليمانيون المعارضون للنظام الأموي والمهاجرون إلى قم منذ ذلك الوقت.فقد تحولت إلى أحد أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي اليوم، وأصبح قبرها ومشهدها موطنا للعلماء، وقبلة للمتعلمين والدارسين.

وهذا ينبهنا على الدور الذي تقوم به مشاهد المعصومين وأبنائهم الصالحين من دور في الأمة فهذه الصفوة حياتها خير وهداية، وبعد مماتها يتحول مدفنها إلى واحة يتفيؤ ظلالها أهل الصلاح والعلم والفضيلة، وإذا كان أهل الدنيا يتحلقون حول المال ومراكز الشهوة، فإن أهل الآخرة، وحملة العلم يجدون في هذه المراقد جنات عدن التي وعد المتقون أكلها دائم وظلها..

ولقد كانت تلك الأضرحة وما حولها (جامعة) لما تفرق من العلم، و(حوزة) لما انفرط من عقده.

الغريب أننا في هذا الزمان، نجد اللاهثين وراء أهل الثروة و (القصور) والذين لا يخرجون في أمرهم عن (القصور) بل التقصير والمستأكلين من أموال أهل الدنيا، تراهم ـ ويا لَلسخرية ـ يعيبون أهل القبور والمتحلقين حول الأضرحة والمشاهد، يستلهمون منها قيم الخير والفضيلة وذكرى الآخرة والقيامة!! وسلام الله على الرسول الذي قال: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا».. أرأيت كيف يعيب أهلُ الدنيا والعابدون للقوة والسلطة أهلَ الإيمان والمتعظين بالقبور والمقابر، ومستمطري الرحمات على القدوات الصالحات..

يعاب شيعة أهل البيت بأنهم (قبوريون)! شنشنة نعرفها من أخزم.. أترى (القصوريين) الذين تخذوا الدين تجارة كيف يعيبون شيعة أهل البيت بما هو فخرهم؟..

سلام على المعصومة بنت موسى بن جعفر، و«يا فاطمة اشفعي لي في الجنة فإن لك عند الله شأناً من الشأن».

نجمة (تكتم) المريسية

والدة الإمام الرضا عليه السلام

كانت موجودة سنة ١٧٣هـ

تتعدد مواقف الناس تجاه حالات الاختصاص والاصطفاء الإلهي للأشخاص:

ـ فقسم منهم ينكر أمر الاصطفاء والاختصاص الإلهي رأسا، ويرى أن عالم الدنيا إنما هو عالم يسير ضمن المعادلات المرئية الواضحة، بينما قضية الاصطفاء والعناية الخاصة أمر يرتبط بالغيب، ولا مجال له في هذه الدنيا المبنية على الحضور والشهود!

ـ وقسم آخر لا يستبعد أمر الاصطفاء والعناية الإلهي (رأسا) ، وإنما يرى أن مصاديقه غير متوفرة الآن، أو أن من يتحدث عنه على أنه قد أحيط برعاية إلهية ليس مصداقا لها..

وأنه لو كان سيتم ذلك فإن هناك أشخاصا أحق بذلك الاصطفاء والاعتناء، ويملكون المقاييس التي تؤهلهم لذلك.

ـ وقسم ثالث يرى أن ما خفي عنه من العلم أكثر مما ظهر له، وأنه من الممكن أن يكون من الجزء المخفي عنه ما هو محل الحديث، خصوصا أن الله سبحانه وتعالى قد أخفى أولياءه بين عباده الذين لا تتوجه إليهم الأنظار ولكنهم مع ذلك هم أولياؤه ولذا فهم ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقد واجه الأنبياء والمرسلون والأئمة المعصومون هذه الفئات الثلاث في حياتهم، فمن الأولى وجدنا كيف أن القرآن الكريم قد ناقش القرشيين الذين رفضوا أن يكون محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم رسولا مبعوثا من قبل الله سبحانه، كيف ولو كان ينبغي أن يبعث أحد أو أن يصطفى شخص فإن هناك من هو عظيم في القريتين وهو الذي ينبغي أن يكون صاحب هذا المقام..فتحدث القرآن واصفا مقالتهم ومفندا أقوالهم ﴿ وَقَالُوا

---

(١)سورة يونس آية ٦٢ .

لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

وفي موضع آخر تراه يتحدث عن البواعث النفسية التي تدفع هؤلاء لمثل تلك المواقف فيرجعها إلى حالات من الحسد وضيق الصدر، فيقول ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبراهيم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾[2].

ولعل بعض هؤلاء (لهم العذر الظاهري) فيما يقومون به، فإنهم يقيسون الآخرين على مقياس أنفسهم، وإذا فعلوا ذلك لا يجدون في أنفسهم ميزة حقيقية ترفعهم على غيرهم، فهم الخاضعون للشهوات ويعرفون ذلك من أنفسهم، وهم

---

(١)سورة الزخرف آية ٣١-٣٢.

(٢)سورة النساء آية ٥٤.

الزاحفون على رُكَبهم في الخلوات، وهم الذين لا يمتنعون لو رأوا محرما مستورا!! فكيف يختصهم الله ـ العالم بكل شيء ـ كيف يختصهم برعايته وعنايته؟

وإذا نقلوا هذا المنظار ورأوا به غيرهم، لم يجدوا سببا لرعاية الله واختصاصه أولئك النفر..

هؤلاء هم عالمون من جهة وجاهلون من أخرى، فهم من جهة عالمون بما هم عليه من السوء، والأخلاق غير المرضية، ولكنهم جاهلون بغيرهم، فهم لا يعرفون صفاء نفوس غيرهم، وحسن أعمالهم، وطيبة أخلاق الآخرين.. ولذلك يحق لهم أن يتعجبوا كثيرا في أنه كيف يتم اختيار هذا الشخص للنبوة وذاك للإمامة، والثالث لكرامة الله.. وهكذا.

لكنهم لو عرفوا سر ذلك لزال تعجبهم، فإن ما يرون من غيرهم ليس إلا المظهر، وليس سوى القشرة الخارجية.. وإن ما يحمله هؤلاء المتعجبون من ميزات لو أدركوا أنها لا تساوي عند الله شيئا، لسعوا ربما لما هو مرضي عند الله.. فإن اعتمادهم

على الجذور العائلية فقط وعلى الأنساب ، أو على الجمال البـدني بمجرده أو على القوة العضلية فقط.. ليس بالضرورة أن يكون ميزة في المقياس الإلهي الذي على أساسه يتقدم العباد.

ولقد سبق أن ذكرنا الموقف الذي كان من عبد الملـك بـن مروان عندما سـمع أن الإمـام الـسجاد قـد تـزوج جاريـة (أو مولاة) له.. فكان أن أرسل إلى الإمام رسالة يعاتبـه عـلى تلـك الخطوة ضمن عقلية المقاييس غير الإلهية. كما كان للإمام نفـسه موقف مـع بعـض أصـحابه ممـن كـان متـأثرا بتلـك الأفكـار الباطلة[1].

---

(١) وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ج ٤١ ص ٥٠:
١١ ـ وعنه (كتاب الحسين بن سعيد (الزهد)، عن علي بن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن علي بن الحسين عليهما السلام رأى امرأة في بعض مشاهد مكة فأعجبته فخطبها إلى نفسه وتزوجها فكانت عنده، وكان له صديق من الأنصار فاغتم لذلك وسأل عنها فاخبر أنها من بني شيبان في بيت عال من قومها، فأقبل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال: ما زال تزويجك هذه المرأة في نفسي، وقلت: تزوج علي بن الحسين امرأة مجهولة، ويقوله الناس أيضا، فلم أزل أسأل عنها حتى عرفتها ووجدتها

هذه المقدمة ينبغي أن نتأمل فيها ونحن نحاول الحديث عن (سكن) أو (تكتم) أو (نجمة) وهي اسامٍ مختلفة لوالدة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، امرأة تُصنف بحكم المقاييس الظاهرية الخادعة بأنها جارية تُباع وتشترى، ولكن بحسب المقاييس الخفية التي على أساسها يتفاضل الناس عند خالقهم كانت شيئا آخر ولهذا كانت الوعاء الذي قرّ فيه (المولود المبارك) علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق قدس سره بسنده[1] عن هشام ابن أحمر قال أبو الحسن الأول (الكاظم) عليه السلام: هل علمت أحدا من أهل المغرب قدم؟

في بيت قومها شيبانية، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: قد كنت أحسبك أحسن رأيا مما أرى.. إن الله أتى بالإسلام فرفع به الخسيسة، وأتم به الناقصة وكرم به من اللوم فلا لوم على مسلم.

(١) عيون أخبار الرضا / ج ٢ الصدوق قال حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن ابن محبوب عن يعقوب بن اسحق عن أبي زكريا الواسطي هشام بن أحمر قال:

قلت: لا!

فقال عليه السلام: بلى قد قدم رجل أحمر فانطلق بنا فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق..

فقال له: اعرض علينا فعرض علينا تسع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام: لا حاجه لي فيها ثم قال له: اعرض علينا قال ما عندي شيء!

فقال له: بلى اعرض علينا!

قال: لا والله ما عندي إلا جارية مريضة!

فقال له: ما عليك أن تعرضها؟ فأبى عليه ثم انصرف ثم انه أرسلني من الغد إليه فقال لي: قل له كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا. فقل: قد أخذتها فأتيته فقال: ما أريد أن أنقصها من كذا!

فقلت: قد أخذتها وهو لك.

فقال: هي لك ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس

فقلت رجل من بني هاشم فقال: أي بني هاشم؟

فقلت له: من نقبائهم!

فقال: أريد أكثر منه!

فقلت: ما عندي أكثر من هذا! فقال: أخبرك عن الوصيفة إني اشتريتها من أقصى بلاد المغرب فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسي!

فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك! إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض فلا تلبث عنده إلا قليلا حتى تلد منه غلاما يدين[1] له شرق الأرض وغربها!

قال: فأتيته بها فلم تلبث عنده قليلا حتى ولدت له عليا عليه السلام[2].

---

(١) في رواية الكافي: ما يولد بشرق الأرض ولا غربها مثله.

٢) هناك رواية أخرى يستفاد منها أن والدة الإمام الكاظم حميدة المصفاة هي التي اشترتها ثم أهدتها إلى ابنها الكاظم عليه السلام وأنها كانت

صارت هذه المرأة الصالحة بهذه الطريقة في بيت الإمام الصادق في أول أمرها حيث يظهر من بعض الروايات أن (نجمة، تكتم) قد قدمت لبيت الإمام الصادق عليه السلام وقد كان موجودا على قيد الحياة، بل قد أخبر عن أنها سوف تكون أم الإمام الرضا، وهذا يشير أيضا نحو إشارة إلى منزلتها، ففي خبر ينقله بسنده عن سلمة بن محرز قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام إن رجلا من العجلية[1] قال لي كم عسى يبقى

من أفضل النساء في عقلها ودينها، وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة، حتى إنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالا لها. فقالت لابنها موسى عليه السلام ـ بعدما رأت رسول الله في المنام يأمرها بأن تهبها لابنها موسى ـ: يا بني، إن تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك أن الله تعالى سيطهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيرا.. ويمكن الجمع بينهما ـ مع تمامية الروايتين ـ بأن الشراء كان في الأصل للوالدة، وأن الذي ذهب كان مرسلا من قبل الإمام الكاظم عليه السلام حيث لم يكن من الطبيعي أن تذهب والدة الإمام لشراء الجارية والتعرض للسوق، مع وجود ابنها، وأنه اشتراها لها، ثم لما رأت ذلك الكمال والفضل وهبتها ابنها الكاظم.. والله العالم.

(١) فرقتان تنتمي إحداهما إلى المغيرة بن سعيد العجلي، والثانية لأبي

لكم هذا الشيخ إنما هو سنة أو سنتين حتى يهلك ثم تصيرون ليس لكم أحد تنظرون إليه!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألا قلت له: هذا موسى بن جعفر عليه السلام قد أدرك ما يدرك الرجال وقد اشترينا له جارية تباح له فكأنك إن شاء الله وقد ولد له فقيه خلف!!.

ثم عاشت في كنف الإمام الكاظم عليه السلام زوجة[1] وشريكة حياة وأمّاً للإمام علي الرضا عليه السلام وحينئذ سماها بـ (الطاهرة) ويظهر من الرواية السابقة أنها كانت أولى من اقترن بها، وكان باكورة ذلك وجود الإمام الرضا عليه السلام خصوصا مع الروايات الأخرى التي ورد فيها النص على الإمام الرضا من الكاظم باعتباره أكبر ولده[2].

منصور العجلي، وهما من الفرق المنحرفة عن أهل البيت في بداية الأمر، وتطور بهما الأمر إلى الانحراف عن الدين رأسا.

(١) عندما نتحدث عن زوجات الأئمة من الجواري، فإنما نتحدث هنا خارج لغة الاصطلاح الفقهي الذي يجعل الزواج (بعقد ومهر) قسيما ومقابلا للنكاح بملك اليمين.. وذلك لما يتطلبه وضع الكتاب الذي يخاطب لغة الشباب والشابات في المتن.

(٢) الشيخ الصدوق في العيون بسند معتبر عن الحسين بن المختار:

ويشير إلى توجهها العبادي والروحي، وعلاقتها بالله سبحانه أنها وهي الأم التي تمتلك مخزونا هائلا من الحنان والعطف على ابنها، أنها طلبت الاستعانة بمرضعة بعد ولادة الإمام الرضا عليه السلام لتساعدها في إرضاعه[1]، لكيلا يتأثر وردها وتنقص عبادتها، ولعل هذا لا يكون مفهوما لدى الكثير ولكنه الارتباط بالله الخالق العظيم، والالتذاذ بعبادته ومناجاته، وهو الذي أوصل هذه المرأة لأن تكون وعاء الإمامة.

كما أنها كانت والدة للسيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر المعروفة بالمعصومة[2]، ومن خلال هذا نستطيع الاطمئنان بأنها

خرجت إلينا ألواح من أبي إبراهيم موسى عليه السلام وهو في الحبس فإذا فيها مكتوب: عهدي إلى أكبر ولدي.

(١) في عيون أخبار الرضا.. قال: وكان الرضا عليه السلام يرتضع كثيرا، وكان تام الخلق. فقالت: أعينوني بمرضعة، فقيل لها: أنقص الدر ؟ فقالت: لا أكذب، والله ما نقص، ولكن علي ورد من صلاتي وتسبيحي، وقد نقص منذ ولدت.

(٢) لا يخفى أن عقيدتنا في موضوع العصمة أنها لا تصح إلا لأربعة عشر معصوما هم سيد الخلق محمد وابنته الصديقة الطاهرة والأئمة

كانت موجودة في سنة ١٧٣ هـ، وهي سنة ولادة فاطمة (المعصومة) كما في بعض المصادر، وإن كانت بعض المصادر الأخرى ترى أنها ولدت في فترة متأخرة عن هذا التاريخ، وتؤرخ ولادتها بسنة ١٨٣ هـ كما سيأتي..

وعلى أي تقدير، فلا شك أنها وهي في بيوت الإمامة تعرضت إلى كثير من المعاناة الناتجة على أثر مواقف السلطة العباسية تجاه أهل البيت، وخصوصا تجاه زوجها الإمام الكاظم عليه السلام، فقد شهد تلك الفترة التي عاشتها تصعيدا سياسيا خطيرا من قبل الحكومة العباسية تجاه أهل البيت، ونحن وإن كنا لا نعرف تاريخ وفاتها ولا كم بقيت مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث لم يذكر اسمها تحديدا في وصية

الاثنا عشر علي والحسنان، والتسعة أبناء الحسين عليهم سلام الله جميعا، فالعصمة الضرورية الاصطلاحية هي لهؤلاء كما هي لرسل الله عليهم السلام.
وتلقيبها بذلك إما لورود هذا اللقب في إحدى الروايات كما نقل ذلك صاحب كتاب (رياحين الشريعة) وإما لبيان منزلتها العالية، وأن لها مرتبة من مراتب العصمة (غير الضرورية المصطلحة)..

الإمام وإنما ذكر أن ابنه علي الرضا هو الوصي (في مالـه وأهلـه وأولاده الأصاغر وأمهات أولاده) وإن كنا نستقرب بالنظر إلى كونها أما لفاطمة المعصومة التي ولـدت في الـسنوات الأخـيرة قبـل شـهادة أبيهـا الكـاظم عليه السلام، نـستقرب بقاءهـا إلى حـين شهادته، ولكن لا شك أنها اصطلت بنار تلـك الظـروف التـي أحاطت به وأدت إلى سجنه مرات متعددة، إلى أن انتهت حياته المباركة شهيدا مسموما..

أم سلمة زوجة علي بن عبيد الله بن الحسين

أسرة الجنة

تتفاوت مواقف الأقربين من أقرانهم عندما يحصلون على علو ومنزلة، ولا سيما إذا كانت تلك المنزلة إلهية وغيبية.

ويظهر أنها هذه المواقف تتسم بشيء من القوة والشدة سواء كانت في جهة السلب أو الإيجاب فالمؤمن بوجود تلك المنزلة في القريب يكون قوي الموقف وشديد الإخلاص في الدفاع عن صاحبها.. والكافر بها يكون شديد العناد والمواجهة معه، ولو تأملنا في سيرة الأنبياء والأوصياء، لوجدنا هذه الحقيقة واضحة.

فأبو لهب الذي ذكره القرآن الكريم باللعن والتثريب ومعه حمالة الحطب، كان من أشد المعارضين لدعوة رسول الله ﷺ وأنزل الله في ذلك قرآنا يتلى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾[١]. بينما كان لسان حال البعض الآخر ممن لا يمتون بصلة نسب للنبي هو: ﴿ .. أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٢] أو قول عتبة بن ربيعة: «يا معشر قريش إن محمدا له إلّ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يكن صادقا فأنتم أعلى به عينا وإن يكن كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره»[٣].

بينما من يعرف الحق، ويؤمن به يكن في نصرة قريبه (النبي، أو الوصي) في أعلى درجات الفداء والإيثار، وهنا نذكر أبا طالب[٤] عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أعطى من نفسه وأبنائه في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته بلا حدود. وهكذا يُذكر بكل إكبار

(١) سورة المسد.

(٢)سورة غافر آية ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ١٩/ ٢٢٤.

(٤) للتفصيل يراجع ترجمته في كتاب رجال حول أهل البيت عليهم السلام، القسم الخاص بالحديث عن أبي طالب.

دور حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب، وعلي أخيه عليهم السلام.

وربما يتصور أن الأمر يدخل في ضمن العصبية القبلية، والدفاع عن القرابة والنسب، كما هو المشاهَد في كل مكان، وبالنسبة إلى جميع الأزمان، والأفراد، حيث تتنادى الأقارب لنصر من يتقرب إليها، وينسب لها.

لكن الأمر لا يبدو كذلك في الدعوات الدينية، ولا سيما في دعوة الإسلام التي جاءت بثقافة مختلفة في هذا الصعيد، فجعلت أولى الناس بالنبي ليس أقاربه، وإنما الذين يتبعونه ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، مقررة أنه لا نسب ولا أهلية بين المؤمن والكافر، كما أوضحت ذلك في قصة نبي الله نوح ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2] ولذا

(١)سورة آل عمران آية ٦٨.
(٢)سورة هود آية ٤٦.

فإنك ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وأهل البيت المعصومون عليهم السلام عايشوا الحالتين، فقد وجدوا من بين أقاربهم، وأنسابهم من يعاديهم عداء يقصر عنه كل عداء، كما نلاحظ ذلك في حالة العباسيين، فـ:

قد شردوهم بين مقتول ومأ   سور ومنحور بسيف عناد

وفي الطرف الآخر وجدنا من يعرف حقهم فيعاملهم بأعلى درجات الاحترام والتبجيل، ويفسر الإمام الرضا عليه السلام هذا الأمر بـ «إن ولد علي وفاطمة عليهما السلام، إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس». وقد رأينا كيف كان علي بن جعفر

---

(١)سورة المجادلة آية ٢٢ .

الصادق عليه السلام يحترم محمد بن علي الجواد عليهما السلام، إلى حد أنه كان يسوي له نعله قبل قيامه، ويأخذ بركابه، مع أن الإمام الجواد في تلك الفترة كان في سن بعض أحفاد علي بن جعفر، الذي هو عم أب الإمام الجواد (عم الرضا).

وأمامنا نموذج من تلك الفئة من ولد علي وفاطمة الذين عرفهم الله أمر الإمامة، فلم يكونوا كسائر الناس في محبتهم وولائهم بل تجاوز تلك الحدود.. نموذج أم سلمة وزوجها علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين السبط عليه السلام.

والزوج علي بن عبيد الله كان من أهل الفضل والزهد بل قيل إنه كان أعبد أهل زمانه وأزهدهم، وكان هو وزوجته أم سلمة بنت عبد الله بن الحسين بن علي يقال لهما: الزوج الصالح[1]، وكان علي بن عبيد الله مستجاب الدعوة، واختص

---

(١) قد مر في ترجمة سابقة أيضا أن زينب بنت عبد الله بن الحسن وزوجها علي بن الحسن المثلث كانا يسميان بالزوج الصالح. وقد ذكر ابن داود في رجاله أن علي بن عبيد الله كان يسميه الإمام الرضا عليه السلام بالزوج الصالح. فراجع

بالإمام موسى بن جعفر وابنه علي الرضا عليهما السلام، وله كتاب في الحج يرويه كله عن الإمام الكاظم، وذكر أبو نصر وابن عنبة أن محمد بن إبراهيم طباطبا القائم بالكوفة كان قد أوصى إليه، فان لم يقبل فلأحد ابنيه محمد وعبيد الله، فلم يقبل وصيته ولا أذن لابنيه في الخروج.

وقد روي أن الإمام الرضا عليه السلام قد شهد لعلي وزوجته وابنيه بالجنة، وهي منزلة ـ لعمري ـ عظيمة بلا شك. ففي الرواية التي نقلها الشيخ الكشي في رجاله، ذكر لهم هذه المنزلة، وأشار إلى شدة علاقتهم بالإمام واحترامهم له، قال:

ـ قرأت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار بخطه، حدثني محمد ابن يحيى العطار، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أسلم عليه، قلت: فما يمنعك من ذلك؟ قال: الإجلال والهيبة له وأتقي عليه.

قال: فاعتـل أبـو الحـسن عليه السلام علـة خفيفـة وقـد عـاده الناس، فلقيت علي بن عبيد الله، فقلت: قد جاءك ما تريد، قـد اعتل أبو الحسن عليه السلام علة خفيفة وقد عاده الناس، فـان أردت الدخول عليه فاليوم.

قـال: فجـاء الى أبي الحـسن عليه السلام عائـدا فلقيـه أبـو الحسن عليه السلام بكل ما يحب من التكرمة والتعظيم، ففرح بـذلك علي بن عبيد الله فرحا شـديدا. ثـم مـرض عـلي بـن عبيـد الله، فعاده أبو الحسن عليه السلام وأنا معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلما خرجنا أخبرتني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلـما خـرج: خرجـت وانكبت على الموضع الذي كان أبـو الحـسن عليه السلام فيـه جالـسا تقبله وتتمسح به.

قال سليمان: ثم دخلت على علي بن عبيد الله، فأخبرني بـما فعلت أم سلمة، فخبرت به أبا الحسن عليه السلام، فقال: يـا سـليمان ان علي بن عبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سـليمان ان

ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرفهم الله هذا الامر لم يكونوا كالناس.[١]

ثم إن السيد الخوئي قدس سره قد علق على الرواية بأن: رواية الكشي وإن كانت ضعيفة بجهالة محمد بن الحسن بن بندار إلا أن رواية محمد بن يعقوب[٢] صحيحة، وفيها دلالة على مدح علي بن عبيد الله وجلالته[٣].. فهو يرى أن محمد بن الحسن بن بندار مجهول، ولأجل ذلك تكون الرواية التي رويت عنه ضعيفة..

لكنه في الجزء السادس عشر من المعجم ذكر خلاف ذلك في ترجمته فقال في صفحة ٢٢٢ ما نصه: محمد بن الحسن بن بندار: القمي: روى عن علي بن إبراهيم بن هاشم، وروى

(١) اختيار معرفة الرجال ـ الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٥٦.

(٢) محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن جعفر، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول.. إن علي بن عبيد الله وامرأته وبنيه من أهل الجنة..

(٣) معجم رجال الحديث ج ١٣ ص٩٤.

الكشي، عن كتابه، ذكره في حكم النبيذ، بعد ترجمة شعيب مولى علي بن الحسين. وفي ترجمة هشام بن إبراهيم العباسي. وروى عن الحسن بن أحمد المالكي، ذكره في ترجمة محمد بن فرات، عن كتابه، وكذا في ترجمة عبد الله بن طاووس. وروى عن محمد بن يحيى العطار، رواه الكشي عن كتابه، في ترجمة محمد ابن إسماعيل بن بزيع. وكذلك في ترجمة علي بن عبيد الله بن الحسين. وروى عن الحسين بن محمد بن عامر، وروى عنه الكشي عن كتابه، في ترجمة خيران الخادم.

أقول: استظهر الوحيد، اتحاده مع محمد بن الحسن القمي الآتي، الذي روى عنه التلعكبري إجازة، وما استظهره في محله، فإن هذا في طبقة الكليني ﵀. ويروي عن مشايخه كما عرفت، وروى التعلكبري عن الكليني في عدة موارد، وعلى ذلك فهو ثقة، كما يأتي.

فهو مجهول عنده في الجزء الثالث عشر، وثقة في السادس عشر!!

حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر

يتفاوت الناس في تفاعلهم مع القضايا الغيبية كالكرامات.

فقسم من الناس يكذبها بالكامل ولا يعتقد بها.

وقسم آخر يؤخذ بها، ويغلو في صاحبها، فيعتقد فيه صفات الإله.

وثالث يصدق بها، ويؤمن ولكن يضعها في إطارها الصحيح، عندما يزداد إيمانا بالله الذي أكرم صاحب الكرامة، وأعطاه من فضله، وسخر له بعض ما خلق.

واتخاذ الموقف الصحيح وهو الثالث، هو الذي يزيد الذين اهتدوا هدى، فلا تكذيب بما أنعم الله على أوليائه، ولا غلو في أولئك الأولياء حتى يخرجوا من العبودية.

ويصعب هذا الموقف إلا على من أوتي من المعرفة شيئا كثيرا، فإن تزاوج الكرامة والمعاناة في شخص واحد، أمر

يصعب فهمه وإدراكه. فكيف يمكن أن يفهم إنسان أن أهل البيت عليهم السلام قد كانوا على مستوى من المنزلة عند الله بحيث تجري على أيديهم الكرامات، ومع ذلك كانوا يتعرضون للأذى من قبل الحاكمين وطغاة العصر؟

كيف يستطيع هؤلاء الاتصال بعالم الغيب، ويكون لهم من القدرة ـ بإذن الله ـ ما يتحكمون فيه بما حولهم، ومع ذلك يكونون محكومين بإرادة الصغار من الرجال، والتافهين من الحاكمين؟

ولو ترقى الملاحظ لسأل نفس السؤال في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كيف كان مطاردا من قبل ملأ مكة، ومضروبا بالأحجار من سفهاء ثقيف، بينما كان بإمكانه أن يدعو الله عليهم فيجعل (عاليها سافلها)؟ كيف أن تلك الذات المقدسة التي ينشق لها القمر، ويأتي طائعا ثابتُ الشجر، تؤذى في النفس وفي الأهل؟

يحتاج الإنسان إلى قدرة عقلية كبيرة لكي يتفهم اجتماع هذين المعنيين في مورد واحد!!

وحكيمة بنت الإمام موسى بـن جعفـر الكـاظم، واحـدة من نساء أهل البيت عليهم السلام عاصرت فترة أبيها وما جـرى عليـه من أذى، واضطهاد، وسجن، ثم كانت مع أخيها الإمـام عـلي بن موسى، وكانـت تـرى منـه الكرامـات والألطـاف الإلهيـة، فتزداد يقينا وإيمانا بالبـاري الـذي حبـا هـذه الأسرة واجتباهـا بلطفه وكرامته.. وتـرى أنـه كلـما زادت المعانـاة في سـبيل الله، والصبر في جنبه، ارتفعت المنزلة، وعظمت النعمة.

فهاهي في ولادة ابن أخيهـا محمـد بـن عـلي الجـواد تـرى العجب، الذي لا يكاد يطيقه غير المؤمنين، فإنها تنقـل أنهـا قـد حضرت ولادة ابن أخيها، كما ذكر ابن حمزة الطـوسي في كتابـه الثاقب في المناقب[1] عن علي بن عبيدة، عنها: لما حضرت ولادة الخيزران أدخلني أبو الحسن الرضا عليه السلام وإياهـا بيتـا، وأغلـق علينا الباب والقابلـة معنـا. فلـما كـان في جـوف الليـل انطفـأ المـصباح فاغتممـت لـذلك، فـما كـان بـأسرع أن بـدر أبـو

(١) ص ٥٠٤.

جعفر عليه السلام فأضاء البيت نورا فقلت لامه: قد أغناك الله عن المصباح..

فلما أن أصبحنا جاء الرضا عليه السلام فوضعه في المهد، وقال لي: إلزمي مهده. قالت: فلما كان اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم لمح يمينا وشمالا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فقمت رعدة فزعة، فأتيت الرضا عليه السلام فقلت له: رأيت عجبا! فقال: وما الذي رأيت؟ فقلت: هذا الصبي فعل الساعة كذا وكذا! قالت: فتبسم الرضا عليه السلام وقال: ما ترين من عجائبه أكثر[1].

---

(١) الملاحظ أن الإمام محمد بن علي الجواد، حصل له كرامات تتجاوز أمر السن والعمر في أكثر من مورد، منها ما هو مذكور في المتن، ومنها ما هو معروف من تصديه للإمامة وهو حدث السن، حيث أن التصدي للإمامة يعني وضع المتصدي نفسه في محل الامتحان والتحدي، وبالفعل قد خاض الإمام ذلك البحر، وحاولوا إحراجه بكثير من الأسئلة، التي لا يعرفها ـ في ذلك السن ـ غير من أيده الله بعلمه، في مواضع متعددة.. وللتفصيل يراجع موسوعة الإمام الجواد للحسيني القزويني وآخرين.

كلثوم بنت سليم

راوية عن الرضا عليه السلام

الواقفــة[1] لم يقتــصر وجــودهم عــلى زمــان الإمــام

(١) الواقفة، وهم الذين وقفوا على مولانا الكاظم عليه السلام كما هو المعروف من هذا اللفظ حيثما يطلق، وربما يقال لهم: الممطورة، أي الكلاب المبتلة من المطر، ووجه الإطلاق ظاهر. وإنما وقفوا على الكاظم عليه السلام بزعم أنه القائم المنتظر إما بدعوى حياته وغيبته أو موته وبعثه مع تضليل من بعده بدعوى الإمامة، أو باعتقاد أنهم خلفاؤه وقضاته إلى زمان ظهوره، وقد جزم المولى الوحيد وغيره بأن إطلاق الواقفي في الرجال ينصرف إلى من وقف على الكاظم عليه السلام ولا يحمل مع الإطلاق إلا عليه، نعم، مع القرينة يحمل على من قامت عليه ولعل من جملة القرائن عدم دركه للكاظم عليه السلام وموته قبله أو في زمانه عليه السلام مثل سماعة بن مهران وعلي بن حيان ويحيى بن القاسم. وكان بدء الواقفة ـ كما في مختار الكشي ـ إنه اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم فحملوها إلى وكيلين لموسى عليه السلام بالكوفة: حيان السراج وآخر كان معه حين ما كان موسى عليه السلام ببغداد في الحبس. فمات عليه السلام والمال

الكاظم عليه السلام.. بل هم موجودون ـ بدرجة أو بأخرى ـ في كثير من المجتمعات والطوائف!

فإن الزعيم والقائد العظيم عندما تتمكن شخصيته من أبناء مجتمعه أو طائفته، تشعرهم بالأمن والقوة، ويتصورون ـ أو يحبون ـ أن يبقى خالدا معهم!! وهم مع علمهم بأن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[1] إلا أنهم يتعلقون بالأمل، ويتشبثون بالحلم في بقائه واستمراره.

لا يوقظهم إلا واقع الموت الذي كتبه الله على جميع خلقه.. ولكن بعضهم يبقون حالمين بأنه لا يمكن أن يكون قد وقع على فلان العظيم، ما وقع على غيره!

وما يذكره التاريخ من الصدمة التي حلت على المسلمين بوفاة رسول الله، والحيرة التي تملكتهم، مع أنهم يقرؤون في

عندهما، فلما بلغ الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنه لا يموت لأنه القائم المهدي ـ إلى آخر ما قال. دراسات في علم الدراية ـ علي أكبر غفاري ص ١٤١.

(١)سورة الرحمن آية ٢٦.

كتابهم الحق ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1].. يرجع في حال بعضهم إلى هذه الفكرة..

وهكذا الحال فيما بعد، وفي العصور الحاضرة حيث تبقى الجموع المتأثرة بالقائد السابق الذي توفي، في حالة ذهول وأحيانا في حالة أسر للماضي، واعتقال من قبل الذكريات!

ولتحديد أثر هذه الحالة فقد أقر الإسلام مجموعة من الوسائل تنتهي إلى تخفيف هذه الحالة وإلغاء الجوانب السلبية فيها.. فمن تلك الوسائل: التأكيد على حقيقة الموت بالنسبة للأنبياء والرسل وهم أشرف الخلق، فما ظنك بمن هو دونهم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[2]، واستعراض حالات الأنبياء السابقين في موتهم ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأرض تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا

(١)سورة الزمر آية٣٠.

(٢)سورة الأنبياء آية ٣٤.

لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[1].

ومن تلك الوسائل: الأحكام المترتبة على الموت، من اعتداد الزوجة وحدادها، وإمكان زواجها بعد ذلك، ومن تقسيم الأموال بين الورثة.

ومن تلك الوسائل: الإعلان الاجتماعي عن موت الراحل، مثل التشييع، والمشاركة في الدفن، واستقبال المعزين والمواسين..

هذه كلها وغيرها تحسم أمر الوفاة، وتنهي الحلم، ليتبدل بيقظة ومواجهة صريحة للواقع، واستعداد للقيام بمتطلباته.

والغرض من ذلك هو أن لا تتوقف دورة الحياة، وعجلة التقدم، وأن يتم الارتباط بالمبادئ والقيم، حتى وإن كان الشخص أعظم ممثل لها، وأفضل من يجسدها.. لكن يبقى أن عظمته كانت نابعة من كونه متفاعلا مع تلك المبادئ ومطبقا

(١)سورة سبأ آية ١٤.

لتلك القيم، وهي باقية، وإن كان مطبقها فانيا وذاهبا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُّ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

غير أنه يحدث أن تستغل فئة من الانتهازيين تلك الحالة، لكي تعمق فكرة أن القائد لم يمت وأنه لا يموت، وإنما هو موجود، وله أبواب معينة، وبالطبع لن تكون سوى تلك الفئة الانتهازية.

وهذا ما حصل في أيام الإمام الكاظم عليه السلام حيث ادعى عدد من وكلائه وكان عندهم الأموال، أن موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت، وإنما غاب واختفى، وأن على الناس أن يستمروا على ارتباطهم بأولئك الوكلاء.. واستطاع أولئك أن يستثمروا الحالة المذكورة، وأن ينشئوا مذهبا منحرفا عرف فيما بعد باسم (الواقفية).

---

(١)سورة آل عمران آية ١٤٤.

بينما الواعون والعارفون يتجاوزون محنة الافتقاد إلى التفكير للوضع الجديد بدقة وهمة، حيث يكون ذلك الوضع بحاجة أكبر للاهتمام والقائد الجديد فيه أحوج إلى النصرة والالتفاف إلى يتمكن أمره، ويستحكم خطه في المجتمع.

وقد كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل ذلك الظرف، فبمقدار ما كانت دعوة الواقفية وارتباطاتهم تأخذ مدى في نفوس بعض الأتباع كان على الطرف الآخر أناس آمنوا بالإمام علي بن موسى، واتبعوه كما اتبعوا أباه الإمام الكاظم، حيث أنهم في جهة الإمامة وحدة واحدة.

ومن أولئك الناس امرأة عارفة واعية، هي كلثوم بنت سليم.. التي ذكرها الرجاليون باعتبارها من أصحاب الإمام الرضا، وقد روت عنه كتابا، ورواه عنها محمد بن إسماعيل بن بزيع. قال عنها الشيخ النجاشي في رجاله[1]:

كلثوم بنت سليم روت عن الرضا عليه السلام كتابا، أخبرنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن،

(١)رجال النجاشي ص ٣١٩ .

عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عنها بالكتاب.

وقد اشتبه الأمر ـ كما أوضحه كثير من العلماء ـ على ابن داود الحلي عندما ذكرها، بعنوان: كلثوم بن سليم (كش)(١) وقف على الرضا عليه السلام.

والاشتباه حصل في الاسم، فهي امرأة وليست رجلا، كما أنه لم يعهد من أحد القول بوقفها على الإمام الرضا عليه السلام بل لم يعهد مذهب وقف على الإمام الرضا وإنما كان الكلام في الواقفية الذين وقفوا على والده موسى بن جعفر الكاظم ولم يقبلوا إمامة علي بن موسى الرضا. وذكروا أيضا أنه لم يذكرها الكشي في رجاله كما أشار إليه ابن داود.

وذكر كتابَها المحقق الطهراني في كتابه الذريعة(٢) تحت عنوان: كتاب الحديث لكلثم بنت سليم، روت عن الرضا،

---

(١) رمز لكون الاسم مذكورا في رجال الكشي.
(٢) ج ٦ / ٣٥٩.

وروى عنها محمد بن إسماعيل بن بزيع كما في النجاشي.

والراوي عنها هو محمد بن إسماعيل بن بزيع[1] وهو من

(١) ذكره آية الله الخوئي في معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ١٠٣: فقال ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع: قال النجاشي: «محمد بن إسماعيل بن بزيع: أبو جعفر: مولى المنصور أبي جعفر. وولد بزيع بيت، منهم حمزة بن بزيع، كان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم، كثير العمل، له كتب، منها: كتاب ثواب الحج، وكتاب الحج. أخبرنا أحمد بن علي بن نوح، قال: حدثنا ابن سفيان، قال: حدثنا أحمد ابن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عنه، بكتبه. قال محمد بن عمر الكشي: كان محمد بن إسماعيل بن بزيع من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام، وأدرك أبا جعفر الثاني عليه السلام. وقال حمدويه عن أشياخه: إن محمد بن إسماعيل بن بزيع، وأحمد بن حمزة، كانا في عداد الوزراء، وكان علي بن النعمان وصى بكتبه لمحمد بن إسماعيل. وقال أبو العباس بن سعيد في تأريخه: إن محمد بن إسماعيل بن بزيع سمع منصور بن يونس، وحماد بن عيسى، ويونس بن عبد الرحمان، وهذه الطبقة كلها، وقال: سألت عنه علي بن الحسن، فقال: ثقة، ثقة عين. وقال محمد بن يحيى العطار: اخبرنا محمد بن أحمد بن يحيى، قال: كنت بفيد، فقال لي محمد بن علي بن بلال: مر بنا إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع لنزوره، فلما أتيناه، جلس عند رأسه مستقبل القبلة والقبر أمامه، ثم قال: أخبرني صاحب هذا القبر ـ يعني محمد بن إسماعيل ـ أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «من زار قبر أخيه ووضع

يده على قبره وقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات أمن من الفزع الأكبر». قال أبو عمرو، عن نصر بن الصباح: أنه أدرك أبا الحسن الأول، وروى عن ابن بكير. وحكى بعض أصحابنا عن ابن الوليد، قال: وفي رواية محمد بن إسماعيل ابن بزيع، قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إن لله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله له البرهان، ومكن له في البلاد، ليدفع بهم عن أوليائه، ويصلح الله به أمور المسلمين، إليهم ملجأ المؤمن من الضر، وإليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة، أولئك المؤمنون حقا، أولئك أمناء الله في أرضه، أولئك نور في رعيتهم يوم القيامة، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الكواكب الدرية لأهل الأرض، أولئك من نورهم يوم القيامة تضيء منهم القيامة، خلقوا والله للجنة، وخلقت الجنة لهم، فهنيئا لهم، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كله»، قال: قلت: بماذا ؟ جعلني الله فداك، قال: «يكون معهم فيسرنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا، فكن منهم يا محمد». أخبرنا ولدي رحمه الله، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن علي ما جيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد الصيرفي، قال: كنا عند الرضا عليه السلام ونحن جماعة فذكر محمد ابن إسماعيل بن بزيع، فقال عليه السلام: وددت أن فيكم مثله.

ثم ذكر: طبقته في الحديث فقال: وقع بعنوان محمد بن إسماعيل بن بزيع في إسناد كثير من الروايات تبلغ مائتين وتسعة وعشرين موردا. روى عن أبي الحسن، وأبي الحسن الرضا، وأبي جعفر، وأبي جعفر الثاني،

الثقات الأعلام، لكن الغريب أنه لم تذكر الكتب الحديثية سواء في الفقه أو في العقائد أي رواية له عن كلثوم بنت سليم، مع أنه يفترض أنه راوي كتابها. كما لم يذكر الرجاليون بتبع ذلك كونه ممن روى تلك المرأة في تعدادهم لمن روى عنهم محمد بن إسماعيل بن بزيع، كما يظهر بمراجعة الهامش..

وعلى أي حال، فإن تلقي هذه المرأة الحديث من الإمام الرضا عليه السلام ينبئ عن مستوى اهتمامها، فإنا نجد أن نتاج الإنسان هو من جنس اهتمامه، فبينما تهتم بعض النساء، ببعض

عليه السلام، وعن أبي إسماعيل السراج، وإبراهيم بن مهزم، وثعلبة ابن ميمون، وجعفر بن بشير، وجعفر بن محمد بن حكيم، وحماد بن عيسى، وحمزة بن بزيع، وحمزة بن بزيع عمه، وحنان، وحنان بن سدير، وصالح ابن عقبة، وصفوان بن يحيى، وظريف بن ناصح، وعبد الله بن عثمان، وعبد الله بن الفضل النوفلي، وعلي ابن النعمان، وغياث بن إبراهيم، والفضل بن كثير، ومحمد بن زيد، ومحمد بن سنان، ومحمد بن عذافر، ومحمد بن عذافر الصيرفي، ومحمد بن الفضيل، ومنذر بن جيفر، ومنصور بن بزرج، ومنصور بن حازم، ومنصور بن يونس، وهشام ابن سالم، ويحيى بن مساور، والخيبري وعمه...

المساحيق والألوان، وشراء الثياب والزينة، تهتم هذه المرأة بتلقي الحديث من الإمام المعصوم عليه السلام. ثم يكون دورها أن تنشره بين من يشتري هذه السلعة القيمة مثل محمد بن إسماعيل ونظرائه.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، طباعة دار إحياء الكتب العربية.

٣. أبوفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتاب، قم.

٤. آل سيف: فوزي، رجال حول أهل البيت، دار الصفوة، بيروت.

٥. آل سيف: فوزي، من قضايا النهضة الحسينية، دار محبي الحسين، قم.

٦. آل سيف: فوزي، نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الأمامية، دار البيان العربي، بيروت.

٧. الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت.

٨. الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت.

٩. الخوئي: أبوالقاسم، معجم رجال الحديث، منشورات مدينة العلم، قم.

١٠. الصدوق: محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١١. الطوسي: محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ.

١٢. القرشي: باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، قم.

١٣. القزويني: السيد الحسيني، موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٤. الكليني: الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، قم.

١٥. المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف.

١٦. المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

١٧. المفيد: محمد بن محمد النعمان، أمالي المفيد، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

١٨. النجاشي: أحمد بن علي، رجال النجاشي، جماعة المدرسين، قم.

المحتويات

للمؤلف

١. طلب العلم فريضة.
٢. الهجرة مستقبل أفضل.
٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد.
٤. مفهوم التقية في الإسلام.
٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت.
٦. بناء القادة في منهج أهل البيت.
٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت.
٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية.
٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت.
١٠. رجال حول أهل البيت (جزءان).
١١. نساء حول أهل البيت (جزءان).
١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣).
١٣. في رحاب النبي ﷺ

١٤. في رحاب الإمام علي عليه السلام.

١٥. في رحاب الإمام الحسن عليه السلام.

١٦. في رحاب الإمام الحسين عليه السلام.

١٧. في رحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام.

١٨. تأملات في آيات الظهور.

١٩. شيعة القطيف والأحساء عراقة وتطلعات.

لاقتراحاتكم وآرائكم يمكن الاتصال بالمؤلف

www.al-saif.net

fawzialsaif@hotmail.com